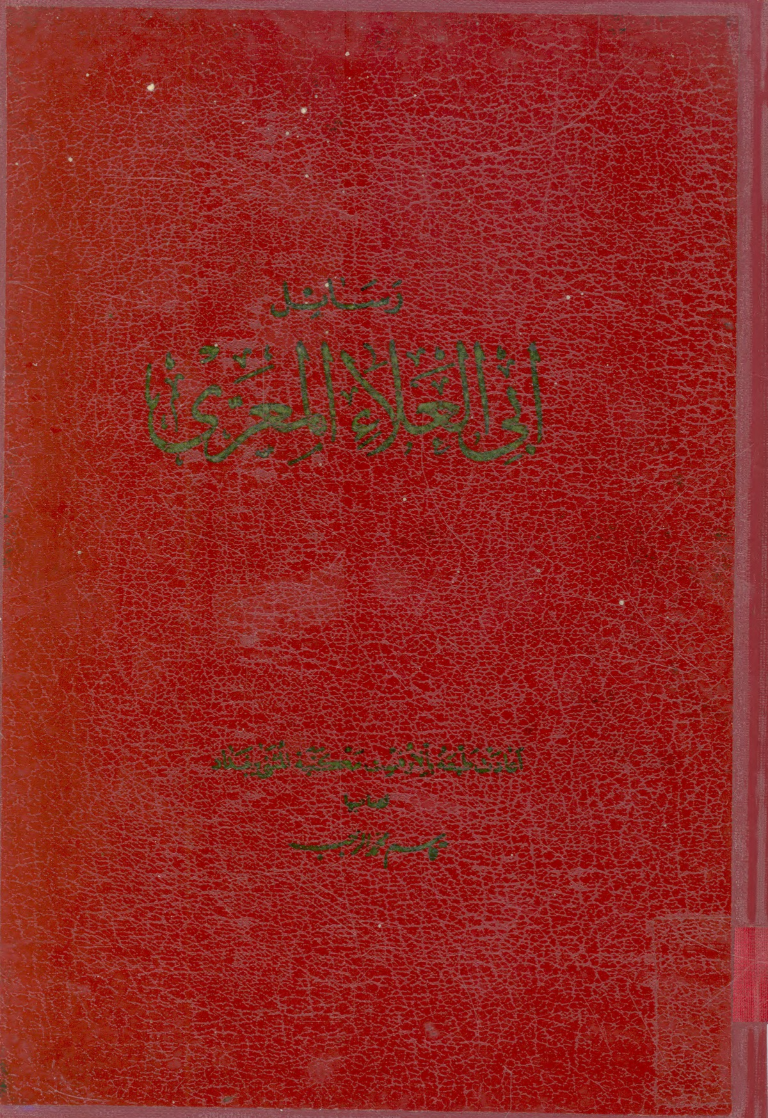

رسائل
أبي العلاء المعري

رسائل

أبي العلاء المعري

أعادت طبعه بالأوفسيت مكتبة المثنى ببغداد
لصاحبها
قاسم محمد الرجب



رسائل أبي العلاء المعري

طبعه

فى المطبعة المدرسيّة فى مدينة اوكسفرد

هورس هارت مدير المطبعة



١

هذه رسائل ابى العلاء احمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى الضرير رهن المحبسين واشياء جُمعت من كلامه ولم تكن المراسلة بينه وبين الناس كثيرة وانما اتفق ذلك فى بعض الاحيان فمن ذلك رسالته الى ابى القسم الحسين ابن على المغربى المعروفة بريح المنيح ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

ان كان للآداب اطال الله بقاء سيدنا نسيم يتضوع . وللذكاء نار تشرق وتلمع . فقد فَغَمَنا على بُعد الدار ارج ادبه . ومحا الليل عنا ذكاؤه بتلهبه . وخول الاسماع شنوفا غير داهبه . واطلع فى سويداوات القلوب كواكب ليست بغاربه . وذلك انا معشر اهل هذه البلدة وُهب لنا شرف عظيم . وأُلقى الينا كتاب كريم . صدر عن حضرة السيد الحبر . ومالك اعنة النظم والنثر . قراءته

نِسك . وختامه بل سائره مِسك . وفى ذلك فليتنافس المتنافسون أُجلّ عن
التقبيل فظلاله المقبّلة . ونُزّه ان يبتذل فَنُسّخه المبتذلة . وانه عندنا لكتاب
عزيز ولولا الإلاحة . على ما ضمن من الملاحة . والخشية على مداده من التوزع .
ونهار معانيه من التشتت والتقطع . لعكفت عليه الافواه باللثْم . والموارن 3
بالانتشاء والشمّ . حتى تصير سطوره لِمَىّ فى الشفاه . وخيلانا على مواضع
السجود من الجباه . ولولا ما حظره الدين من القمار . وعابه من راى الجهلة
الاغمار . وان شريعة الاسلام . اعترضت دون اجالة الأزلام . لضربنا عليه بالسبعة
الفائزة . والثلاثة التى ليست لحظّ بالحائزة . ومعاذ الاحلام ان يطمئن خلد
المنافس الشحيح . الى احكام النافس والمنيح . وانما كانت اولياء سيدنا جعل
الله لشانئه كوكب الرجم . وحادى النجم . تَيسِير على اقامة الصحيفة فى المنازل
للانس المطلوب . لا على مقادير السماء من ذلك الطرس المكتوب . واحسبهم
يوقعون عليها السُهمة الواقعة على كفالة البتول . والحاكمة فى السفر بين صواحب
الرسول . فيا شرفه من صكّ بالفخر . نحتج به على النظراء حيرى الدهر . موشحا
بكل شذرة اعذب من سُلاف العنقود . واحسن من الدينار المنقود . فجاء كلوائح
البروق . او يوح عند الشروق . ولم يزل لوليّه الى جنابه جَنَب العانيه . الى
عيش العانيه . وانضاء الإعلال . الى إفضاء الإبلال . ولو ان شوقه الى حضرته
الجليلة تمثلْ . فمثل . وتجسّم . حتى يتوسّمْ . لملأُ ذات الطول والعرض . وشغل 4
ما بين السماء والارض . ولم يكتف حتى يكلف الخطْوه . ان تسع صهوه .
والراحه . ان تكون مثل الساحه . وبلغ وليه السلامُ الذى لو مر بسَلِمَه . واربِه .
لاغدقت . او سَلَمَه . عاربه . لاورقت . لحمل فؤادى من الطرب على روق
اليعفور . بل فوق جناح العصفور . فكانما رفعنى الفلك . او ناجانى الملك . جذلا
بما لو جاز تبدل الغريزة . وتحول النحيزة . لنقلنى من آلى العامّه . الى عالى
السامّه . نقل الكيمياء ما خالط من المزابق الجائز . الى جملة النُضار الممايز .
وكدت لولا اشتمال المخاوف على هذه المحلّه . واشتعال الضمائر فيها بقبس
الغُلّه . احسب سلامه السلام الذى ذكره البارئ جل اسمه فى قوله ادخلوها
بسلام آمنين افبلدتنا جِنان . ام وضع لاهلها الغفران . ام نُشِروا بعد ما

قبروا . ام جُزوا الغُرفة بما صبروا . فهم يلقّون فيها تحية وسلاما وان نالوا بمنّه اوصاف الاتقياء الابرار . فقد نزلت بهم خَلّةٌ من خلال الاشقياء الكفار . وذلك انهم باسد البلاغة افترسوا . وباسبابها عُقدت السنتهم عن الجواب فخرسوا . فكانما قيل لهم هذا يوم لا ينطقون . ولا يوذن لهم فيعتذرون . وانما غرقوا فى لج التبانه . فصمتوا . وسمعوا صواعق الابانه . فخفتوا . فقلم كاتبهم عُود الناكت . وجواب بليغهم حيرة الساكت . على انهم قد راموا تصريف الخطاب 5 فصُرفوا فعرفوا مكان فضله فاعترفوا . وتراآوه من مبارك العلوج . فلمحوه فى مآرك البروج . واستنهضتهم الهمم الى مداناته فعجزوا . ووعدوا هواجسهم التبلد فانجزوا . ولن توجد اثار . النوق . فى اوكار . الانوق . فهم يتاملون وميضه الآلق . ويحمدون الاله الخالق . على ما منحه سيدهم من الاقتدار . بدقيق الافكار . على اعادة اليمّ كالغدير المسمى بالغدر . والحاق السها بالقمر ليلة البدر . ولم يزل الماشى العازم . اسرع من راكب الرازم . فكيف بمن امتطى به عزمه كَتِد الريح . وحكم له سعده بالسعي النجيح . وخصه بارئه تقدست اسماؤه بطبع راض صعاب الاغراض حتى ذلّلها . وابسّ بوحوش اللغات فاهّلها . فصار حزن كلام العرب اذا نطق به سهلا . وركيكه ان ايده بصنعته قويا جزلا . فمثله كمثل جارسة الكحلاء . تسمح بالمسائب الملاء . تطعم الغَربْ . 6 وتجود بالضَرَبْ . وتجنى مُرّ الانوار . فيعود شهدا عند الاشتيار . وكالهواء فى مذهب لا اعتقده . وقول سواى من يسدده . يجتذب اجزاء البخار . فيسقى من تحته عذب الامطار . ومن لنا بان اللفظ المشوف . يُمثّل عليه التمثيل على الحروف . فتكلف البابنا اقتضاب العسير . وركوب ما ليس بيسير . فعساها تَبَلّ بفقرة زاهره . او تظهر باستخراج لولوة فاخره . على انه من العناء سوال البرم . ورياضة الهرم . وهيهات بعدت محالّ . الغَفر . الطالع . عن مزالّ . الغُفْر . الظالع . واعجز البارق . يد السارق . وجلّت الشموس . عن سكنى الرموس . ولو اجتهد الخُزَزُ مدى عمره ما اشبه ضغيبه زئير الاسد . ولن يصير سوط باطل فى القوة كالمسد . وهو رُزِقَ لَاَمَه . ما رُزِق كلامه . لينال خلود الزمان . وتعطيه الحوادث اوكد امان . اولى الناس . باضاءة النبراس . اذ

كان فى زكاء الهمة مغرسه . وباجتنال الحكمة مذ نشا تمرّسه . حتى علا
منها سراة المنبر . وركب طالبه اصول السخبر . وقد كان فى من مضى قوم
جعلوا الرسائل . كالوسائل . وتزيّنوا بالسجع . تزيّن المُحول بالرجع . ما رقوا
فى درجته . ولا وضعوا قدما على محجّته . لكنهم تعاينوا . فما تباينوا . 7
وتناضلوا فلم يتفاضلوا . ولو طمعوا فى الوصول . الى مثل هذه الفصول . لاختاروا
الرَتَبْ . على الرُتَبْ . ورضوا اعتساف السبيل . وارتعاء الوبيل . ليدركوا
بطلبهم ما ادرك من غير جِدّ . واغترفه من بديهة العِدّ . وكلهم لو شاهده
يرضى بان يدعى السُكَيْت فى حلبة سيدنا فيها سابق الرهان . ويتمنى ان
يكون زجّا فى قناة هو منها موضع السنان . ولما وردت مع عبده موسى تلك
الغرائب المونسه . والقلائد المنفسه . كانت بمنزلة الايات التسع التى القاها
الرحمن . على ابن عمران . ابطلت كيد السُحّار . وعصفت بهشيم الاشعار .
وورد فى الواحِدِ عصوان الميمية والواوية فوجد فى وطنه اشباحَ اوزان .
تتخيل . وانقاه اذهان . تتهيّل . فالقى موسى عصاه فاذا هى تلقف ما
يافكون ما خبّر عبده حتى اختبر . ولا عبّر الا بعد ما اعتبر . شاهدنا
فيما سمعناه المعنى الخصير . فى الوزن القصير . كصورة كسرى فى كاس
المشروب . وتمثال قيصر فى الابريز المضروب . لم يُزر به ضيق الدار . وقِصَر
الجدار . ان تغزّل . فحنين العود . او تجزّل . فهدير الرعود . وان كان ادام الله 8
شرف الدنيا به استصغر . من ذلك الذى استكثرناه . واستنزر . من ادبه
الذى استغمرناه . فالسرب يعجب من وقوف الاجدل . على شرفات المجدل .
وهو غير حافل بما اتى . ولا معتقد انه استعلى . وان كان فى وانية . ادابنا .
بقية ارق . ولآنية . افهامنا . خَفيّة صقال . فسوف تنتفع وهو ادام الله عزه
ذريعة الانتفاع . وتضئ بما اهدى اليها من الشعاع . اضاءة الصُفر . بما
قابل من النيرات الزُهر . وقد يرى خيال الجوزاء . على رفعتها . فى اضاة
المعزاء . مع ضعتها . ويورق العود . ببركة السعود . وتفيض الرِدْهَة . عن
نوء الجَبْهَة . ولو تفوّه بمقال . جامد . وهمّ باختيال . هامد . لنشرت المعزة
صحف الافتخار . وسحبت ذيل العظمة والاستكبار . عُجبا ان فكره يلحظها لحظ

الساهم السامد . لا يلفظ بذكرها لفظ الحامد العامد . وانما هو فى الرحيل
عنها كجسم ذى روح . نقل من الغرقىء الى اللوح . وهى بعده كقسيمة .
الوسيمه . ذهب عطرها . وبقى قشرها . وانما شرفت على من سواها . وطالت 9
عن البلاد دون ما والاها . لاقامته بها فى تلك الايام . وانامته عن اهلها
نواظر ازام . فعرفت عند ذلك به . ونالت خيرها من حسبه . كما تنال كل
دار يحلها . وانما المنازل التى ينزلها . كالشهب الشآمية اليمانيه . الموفية
على العشرين بثمانيه . نزل بها الزبرقان فتشهرت . ونسبت العرب اليها
كل سحابة امطرت . وكم فى اديم الخضراء . من شبح مضيّة زهراء . اجتنبها
فى السير فخملت . ولم ينسب اليها قطر سحابة هملت . ورأى عبده ان
ضريبة اللازم . على المتادّب الحازم . اتخاذ اثاره عاش حاسده بالخلق الشكس .
والجد المنعكس . مشاهد للادب محضوره . ومحافل بالمذاكرة معموره . كما
يتخذ تقى الخلف . مواطىء زكى السلف . مواقف يتخيرها لطهارتها .
ومساجد يتديرها لانارتها . وانما فضل الطور بالكليم . والمقام بابرهيم . ولو
سمونا بمجاورته . قبل محاورته . سموّ اليثربى . بجوار النبى . ولعل المعرة
قد نظرت اصحّ النظر . وفكرت فى ما لا يتنقض من الفكر . فعلمت انه
عقد لا يصلح لمقلدها . وسوار يرتفع لجلالته عن يدها . وتاج لا يطيق
حمله مفرقها . وجونة يشرّق بذرورها مَشرِقها . وهو ادام الله تاييده مثل ما 10
نُقل من المحار . الى مفرق الملك الجبار . ومغانيه الاولى كالشجره . بعد اجتناء
الثمره . والصدفة بغير جوهره . والكنانة الخالية من السهام . والعنانة الجالية
فى الجهام . ولم يخف علينا ان الغيث من الدجون . فى مثل السجون . وان
موضع الزّهره . اعلى من العبهره . وان القمر . لم يخلق للسمر . وليس
للمستعير ان يحسب العارية هبه . ولا يظن ردها الى المعير مثلبه . لكن
شرف للصعلوك . العارية من الملوك . وقد افادت هذه البُقعة الصيت البعيد .
وانقادت لها ازمّة الجد السعيد . ليالى آمنتْها المكارم عليه . واستودعتها
البراعة جِدّة اصغريه . فظعن وارجه مقيم . وارتحل وللثناء تخييم . فهى
كشهرى ربيع سُمّيا مع الشهور . فى اوائل الدهور . فصارتا بعد الجمد . الى

الومد . وابت الالقاب . التغير بممر الاحقاب . فنفدت الرسوم . وخلدت الوسوم . ولولا جفاء التربة والاحجار . عن التخلق باخلاق الجار . لاصبحت ساحتها للتادب مختارة .¹ والفصاحة من عند اهلها ممتارة . فقد قيل ان اصل الطيب عند عبدة الابداد . ان آدم صلى الله عليه هبط فى تلك البلاد .
١١ ولكن ابى الجلمود . قبول الطبع المحمود . وعُذرت الكابية فى الهمود . والانيس باجتذاب الخليقة اخلق . وحواسهم بطلاب الفضيلة اولى واليق . فلولا تنبهوا وقد نُبّهوا . وشبّهوا المرى اذ تشبهوا . وما همّ ابن دايه . بصيد الجدايه . فكيف يلتقط القار . بالمنقار . ويستر القرواح . بالجناح . ام كيف يُمدّ الطِراف من النسع . ويُقدّ النجاد من الشسع . هذا ما لا يكون . ولا تسبق اليه الظنون . والظلم البين . والخطب الذى ليس بهين . تكليف القطب النابت . مداناة القطب الثابت . والزام نسر الحافر . مرام النسر الطائر . واذا غلا المرجل . من عدو الأرْجَل . وخلا الفقير . بالوقير . فانما ذاك اتفاق . لا احقاق . وغاية . ليس وراءها نهاية . وقد ضم المسانّ ومهارة ميدان القياس . وشمل الخشاش وجوارحه جو المراس . فسبق الغدْوى . واقتنص القمرى . وان قيل فلان اديب . وفلان اريب . فان وفاق الاسماء . لا يمنع الفراق عند الرماء . العراده . سمية الجراده . والذُباب . سميّ طرف القرضاب . وقد تدعى الثُمامه . جليله . وبعض الهامه . قبيله . وليس كل مثوّب مبشّرا . ولا كل
١٢ متثائب مؤشّرا . اعرض شاؤ لا يتعلق بنَصَبه . وعنّ امدٌ لا يتعب فى طلبه . وانما يحكم بثمر الجبّار . لمن اصلحه فى وقت الإبّار . ويصيد ظليم المقّاء . من زهد فى ظليم السقاء . نام والله اللاغب . وادلج الراغب .

تسالنى ام وهيب جملا • يمشى رويدا ويكون الاولا
فاصبحت من ليلى الغداة كناظر • مع الصبح فى اعقاب نجم مغرّب

وليس حسن الظاهر للمتظاهر . ولا البهار بالباهر . ومن الزور . ادّعاء المَشاء للمتزور . وان جُفّت الرياض . فى الانواض . واعتمّ العقيق . بالشقيق . فان الابارق . لم تبسط بالنمارق . والقرىّ . لم يفرش بالعبقرىّ . ونحن على شحط المعان . واعتراض السهوب دوننا والرعان . لا نعدم من قبله تثقيف المائل . والارشاد الى المنار المائل .

بكتاب حكمة يوفده . وعهد بصيرة يعهده . والمشترى والزهرة وان نأيا . يبلغان المحابّ من تولّيا . فى زعم المنجمين . وبعض الفلاسفة المتقدمين . نعوذ بالله من هذه المقاله . ونستكفيه الايغال فى طرق الجهاله . ولكن المثل مضروب . والخلق مدبَّر مربوب . وان ضرب ارواق البتيه . بمصر . واستخفّ من الاشغال السنيّه . كل اصر . فمزالفنا باذن الله مما برعاه . ومزارعها احد ما بكلوّه وبتولاه . 13 فالسيار الفرد عندهم يشتمل بولايته على الاقطار المتنائيه . وينتظم بها اقاليم ضدّ المتساويه . وكل خالص السام . وقديم سمىّ الحسام . واخى حشاشة من اللب يستنجدها . وفراشة من التمييز يسترفدها . مذ سمع ريّق اقسامه . واجتلى بالتدبر رونق حسامه . كالسرطان فى انقطاع الصوت النابس . وزحل فى المزاج القارس . فعبّهم اطول من رداء العروس . ووعيهم ابكأ من درّ الخروس . فلبتهم كذوات الاصوات المنتصفه . والناطقين باسل منحرفه . فان العجمه . لاسهل من البكمه . والحبسه . اقل ضررا من الخرسه . وتمنى الفائت . كمحاولة احياء المائت . ومن يجعل الربوة روبه . والسبت عروبه . وضائعُ اداء الفرائض قبل دخول الاوقات . والاحرام بعد مجاوزة المبقات . وان كان ما اختلس منهم لا قيمه . له فى النفيمه . ولا اشاره . البه من اهل الشاره . فارتباح اللاقطه . بساقطة النقد . كارتباح الماشطه . بواسطة العقد . ولا يزبّن لأم السمجه . مقتها حسنُ البهجه . لكن تحنو عليها طول الحيوة . وتحزن لفقدها عند 14 الممات . وجورُ نحر الافيل . اذا لم يستقل بعبء الفيل . وهدم سخيفات الدور . اذا فرعتها منيفات القصور . وكسْر المرماة . لقصرها عن القناة . ودفن الناب . اذا لم تلحق بالشوابّ . ولو لا ذلك لوجب ترك النغم . الا ما كان كلا ونعم . يخبر به عن الاراده . ويُمنع قليله من الزياده . ولَحرم اجلالاً لما قال سجع الكلمتين . وتقفية البيتين . وقد كانت المتحمّسة فى جاهليتها . وسدنة الاوثان على اوّليتها . لا تتخذ بيتاً مربّعا . اجلالا للكعبة وتورّعا . وهل طالب ذلك سواه الا كمقتفى الشبيبه . فى نسج السبيبه . ومضيع الشرخ . فى التماس البرم والمرخ . والشحم . لا يقطع الوحم . والنشم . لا يحسب من الرشم . وكلهم غبره بنفق من راس مال نزر . ولا يحكم على مده بالجزر . لكن ينفد

الثغب . بالنُّغب . ويفنى الشمع . بخفيات اللمع . وهم فى هذا الصقع كاسنان المسارح . ونواجذ القمر القوارح . تنكبهم الفوائد تنكيب السهم العائر . والركب الجائر • بناحية اما العذو فنازل • مطيف بها فى مثل دائرة المهر • يحول فيها
15 الجريض . دون القريض . والحذار . دون أداء الاعتذار . فقد ادمى الخُفّ . وطء القُفّ . وذهب الخارب . بذى الغارب . وانما هو رفق ثم اقتسار . وليس بعد السلب الا الاسار . فهم يتوقون كفة الحابل . ويتوقعون رشق النابل . على ان القارب . اخو الشارب . والهُبع . طريد الرُّبَع . ما اقرب طسما من جديس . وادنى البازل من السديس . لا يزالون يمارسون جابه . تنفى النجابه . نفى الدَّبَر . للوبر . والسبع . لابن الضبع . ويبين الزلل . فيهم من خوف الثلل . كما بان القلج . من وراء الفلج . فقليل العلم منهم يُستطرف . ويُستغرب ولا يكاد يُعرف . كالشنوف . على الانوف . والحقاب . فى وسط العُقاب . والودع . فى عنق الصدع . والفور . بين اهل الكفور . لان سالمهم هامة اليوم او غد . وان لم يكن ما خاف فكأنْ قد . ولو رحلوا . قبل ان يوحلوا . وتوكلوا . على الله فى المسيرقبل ان يوكلوا . لنفع الفِرار . الفرّار . واستراح الفقار . الى وضع الاوقار . وكم مصابرة الذَّرَع . لابس الدرع . والبِرّ . الهرّ . وان كان دون كسب العتاد .
16 ممارسة خرط القتاد . فقتد المائع . اوطأ من العتد ذى القالع . والمرقد . جافٍ على ابن انقد . وانما يشدو بالترنم شاديهم . ويغدو فى اولى الدعوى غاديهم . بين اناس يقظة احدهم اقصر من لحظته . وسِنته اطول من سَنته . وحلية الدواة . لديه احلى الادوات . وحسن البراعه . احسن البراعه . فاذا جاء بعضهم بسمار . ومارى بتفضيله ممار . فقد سجد السفساف . لاساف . وأُهدى الهذم . للصنم . والسُّرفه . تتخذ لمنفعتها الغرفه . وربما عنت القراره . بالعراره . وجعل الخمار . على وجه الحمار . وليس الضريع . بالمرعى المريع . على ان التفكير . قبل التبكير . والخِطبه . ثم الخُطبه . فاما بحضرة سيدنا بقى . ووُقِى . حتى يلب الهجر . الى ضياء الفجر . ولوب صلوة العصر . من القصر . فما يسعهم غير الاستماع . والتسليم بعد الاجماع . فان ذكر له ادام الله تاييده . ان حافر القليب . انبط المحض للحليب . وان الرَّسَل . حلب التسَل . وان نجلا من راح . ظهر فى هجل

براح . فعارضته اعلم بالمعارضه . وأربة اربته اقدر على المناقضه . حسب التربه . نطفة تشفى الكُربه . والناقه . علبة عند الافافه . والجمجمه . النيابة عن السحابة المثجمه . وذكره عبده بما يشبه مننه صنيعة يضيق عنها باع الشكر . وأبعث ١٧ وهى منى على ذكر . غرست السرور فى سريرتى وعلّمت النفاسة نفسى . وخلّدت الغبطة فى خلدى الى ان امسى . خبى الرامس . ونجى هند الاحامس . هضب . حتّى بعد ما نضب . وبغشْ . نسيسى وقد نسّ فانتعشْ . وعرتنى الاريحيّه . المشتقّة من الرياح العربّه . فملات الصدر . وامرتنى بمجاوزة القدر . لان الجنوب . تهيج نقع الجبوب . والشمال . تحرّك ساكن الرمال . حتّى عاتبت الضمير . والتفتّ الى السرّ الخمير . فقلت السمه . فى القسمه . ازْين من الاشر . للبشر . وطالما عصف . النسيم فقصف . ولن اكون كالغبار . ثار . من الملاطس . فزار . المعاطس . اسكران . انا ام هكران . ان كنت انتشيت فالثمل . يقوى الامل . او اغفيت فالوسن . يرى الحلم الحسن . هذا مع احاطة اليقين ان الغذمه . لا تُشدّ منها الوذمه . وان البرق . لا يستحقّ كسوة السَرَق . وان البديع . لا يُملأ من رسل الصديع . تزيد المرارة . بسقيا المُرارة . ورى المقير . لا يخلع عليه لون الشقير . ومن انا حتى يصفنى بالنقال . ويزن بى الثقال . البربر . يسوّد فم الغرير . وانّى بالنوّور ١٨ للنوار . وصوار الطيب للصِوار . هل ادبى فى ادبه الا كالقطره . فى المطره . والنحله . عند النخله . وانما صاحب الدرهمين غنىّ عند صاحب الدرهم . والافطس اشمّ فى تخيّل الاكشم . فامّا شدّاد بن عاد . وعاقر الجياد . فالبدىّ . توهمهما الثراء اليدىّ . عند جالب العضد . وبائع الخضد . فضاق ذرعى فى جزاء ما تطوّل به ضيق ذرع النمله . باتخاذ الشمله . والحمنانه . بنقب الجمانه . فليته ادام الله عزه اطّلع من عبده على كنين الاعتقاد . وجنين السواد . فيعلمَ ان الروع . وجوانح الضلوع . مفعمة له بالاعظام . مترعة بمحبّته اتراع الجام . لا لانّه جعل حصاتى كثبير . وخلط عشيرى بالعبير . ولا لان سيدنا الرئيس الاجلّ والده ادام الله سلطانه سبق . من الافضال بما ربق . وقدّم . منه ما كان نشره السدم . ولكن لما اوتى اقاليد الحوار . ونطق بفرود حضار . وعلمت انه فى صاغية الادب . كتُبّع فى طاغية العرب . لهجت بحبّه لهج السوقه . بحبّ المليك الروقه . اذا

١٩ اخذ بالفضل . وحكم بالقضاء الفصل . ونصحت له نصح الهدهد لسليمان . وشيّعت ما اذكر من نبله بالايمان . اصف وكل وصفى صحيح . واحلف وحلفى تسبيح . حتى استجهلنى الذى لا يعلم . وتكلّم فى تضليلى من تكلّم . لانّى ما اقتنعت بتفضيله على الاحداث . دون سكّان الاجداث . ولا غلّبته على الغابر . دون الكابر . ولكنْ وجّبت الشِخّير . ورجّبت الطِرف الاخير . وليس النصر . بقدم العصر . ولا التجويد . بذهاب ابد الابيد . الروىّ بعد التوجيه . واخدر اقدم من الوجيه . وان كانت السِيَر . بغير غِيَر . والحَبْر . فاقدأ للحبر . فالحَبّة بعد الجِبّة . والضياء تالى الكهبة . وما جحد احد ضحاه . ولا وحى مخلوق مثل ما وحاه . ولكن للمهج . بالفارط لهج . والاحادة . عن العادة . تخلط المور . بالتامور . وتباشر ظلام اللوب . بظلام القلوب . وقد انكر من اعظم العزّى واللات . ما جاء به محمّد صلى الله عليه من الآيات . فلم افتأ والله شهيد اصبغ الافق . بالشفق . وادبغ الاديم . بالسديم . حتى اصبح اليافع . النافع . والهمّ . المدرهمّ . ومن بينهما من زارف فى السنّ .
٢٠ وكهل مقسئنّ . احد رجلين اما عالم . فهو من اهل الجهل سالم . واما بليد . اهتدى بالتقليد . وهو ادام الله قدرته الفرع الذى نبع من اصل زاك . فسمق الى السماك . وحفظ التوم . قبل ان يلفظ بالمكتوم . لم يزل ضبّ الآفن . لعَبّ الصافن . واهواء الرادس . لإرواء القادس . حتّى التأمت اللامة . من الزرد . وتالّفت الغمامة . من القرد . ولقد هممت باسترفاد حضرته البهية من بدائعه ما يفضل المال . ويكون الجمال . فعدانى عن ذلك اعظامى له واستحقارى نفسى وارعوت بى الهيبة الى ارمامى وكفّى وابى الله ان يكون التفضّل الا من قبله فوعد التشريف بما سنح من المنثور والمنظوم فللقلوب الى وعده هيام الظامية . الى النطفة الطامية . ولا تزال تقتضيناه اقتضاء المدنف العافية . والبيت القافية . ومن للعفر . بالذفر . والفقْر . بالمام السفْر . واقدمت على خدمة حضرته بالمكاتبة لانهى اليها ما انا عليه لا تكثّرا برصف المنطق عنده . وهل ابلغ ان ادعى فى تاليف القول عبده . وقد تقبل صلوة الامى . ويسمع دعاء الاعجمى . ونفده ادام الله تاييده يكبر عن

تصفح امرى . وتجاوزه بستر زللى وعثرى . لان المُذيه . لا تصل الى ضَبّ الكُذْيه . 21
الا بعد التبريح . بذوات التسريح . والاتيان . على مال الفتيان . والله استجير
من كلمة كطوق العكرمة يحسب لها من الزينه . وكانه من حِداد الحزينه . فقد
حليتها بعبقرّ . وخليتها ترعد من القرّ . من دونها يظهر الضفدع . تحت الشبدع .
وبحكم بالجلسام . على الاجسام . والعنايه . بجارم الجنايه . تمنع الرواجب . من
البتّ بالحكم الواجب . واتبع قولى لما مضى . واشيّعه اذا انقضى . بأنْ اقول
ان كنت اوطأت نفسى فى تفضيله عِشوه . او بغيت على اظهار الحق رِشْوه .
فمنيت بالحاصب . والعذاب الواصب . ليل الحَرِص . انعم من ليل المتخرّص .
ونهار الكاذب . ابأس من نهار العاذب . وغنائى فى تقريظه عن المين . ومساواه
القين . غناء الوصيف . عن لبس النصيف . والغلام . بالاختضاب بالعلّام .
وانا على اسهابى كخابط الظلماء . وباسط اليد الجذماء . ولو جئت من الزَرَق
بكُرّ . ما كافأت على الفريدة من الدرّ . وليس سرب القطا وان كثر . بمقاوم
البازى ولو لطف وصغر . ومن الغباوة مباهاة الشمس بسراج . ومواهاه عطالة 22
بالزجاج . وان ادبى لينظر الى ادبه نظر جِرباء العنوق . الى
جرباء العيوق . واين الماء . من السماء . وموقع السيل .
من مطلع سهيل . والنعائم الشارده . من
النعائم الصادرة والوارده . ونالله اساجل
بتمدى بحره . ولن يهلك
امرؤٌ عرف قدره .
والسلام

٢

نسخة رسالته المعروفة برسالة الاغريض الى ابى القسم المغربى لما انفذ اليه مختصر اصلاح المنطق الذى الّفه وفيها وصف المختصر والثناء بفضله والتنبيه على كثرة فوائده

بسم الله الرحمن الرحيم السلام عليك ايتها الحكمة المغربية . والالفاظ العربية . اى هواء رقاك . واى غيث سقاك . برقه كالاحريض . وودقه مثل الاغريض . حللت الربوه . وجللت عن الهبوه . اقول لك ما قال اخو نمير . لفتاة بنى عمير .

زَكَا لك صالحٌ وخلاك ذمٌ • وصبّحك الأُيامن والسُعُودُ

23 لانا آسَفُ على قربك من الغراب الحجازىّ . على حسن الزىّ . لما اقفر . وركب السفر . فقدم جبال الروم فى نوّ . انزل البِرس من الجوّ . فالتفت الى عطفه وقد شمط فأسِى . وترك النعيب او نسِى . وهبط الى الارض فمشى فى قيد . وتمثّل ببيت دريد .

صبا ما صبا حتّى علا الشيب راسه • فلمّا علاه قال للباطل ابْعَدِ

واراد الاياب . فى ذلك الجلباب . فكره الشمات . فكمد حتى مات . وربّ ولىّ اغرق فى الأكرام . فوقع فى الابرام . ابرام السأم . لا ابرام السلم . فحرس الله سيدنا حتى تدغم الطاء فى الهاء . فتلك حراسة بغير انتهاء . وذلك ان هذين ضدّان . وعلى التضادّ متباعدان . رخوٌ وشديد . وهاوٍ وذو تصعيد . وهما فى الجهر والهمس . بمنزلة غد وامس . وجعل الله رتبته التى كالفاعل والمبتدا . نظير الفعل فى انها لا تنخفض ابدا . فقد جعلنى ان حضرت

عُرف شانى . وان غبت لم يُجهل مكانى . كيا فى النداء . والمحذوف من الابتداء . اذا قلت زيدُ اقبلْ . والابلْ الابلْ . بعد ما كنت كهاء الوقف ان القيت فبواجب . وان ذكرت فغير لازب . انى وان غدوت فى زمن كثير الدد . 24: كهاء العدد . لزمت المذكر . فاتت بالمنكر . مع اِلْف يرانى فى الاصل . كألف الوصل . يذكرنى لغير الثناء . وبطرحنى عند الاستغناء . وحالٍ كالهمزة تُبدل العين . وتُجعل بين بين . وتكون تارة حرف لين . وتارة مثل الصامت الرصين . فهى لا تثبت على طريقة . ولا تدرك لها صورة فى الحقيقة . ونوائب الحقت الكبير بالصغير . كانها ترخيم التصغير . ردّت المستحلس الى حُلَيْس . وقابوس الى قبيس . لَأُمُدّ صوتى بتلك الآلاء . مدّ الكوفى صوته فى هؤلاء . واخفّف عن سيدنا الرئيس الحِبْر . تخفيف المدنىّ ما قدر عليه من النبْر . ان كاتبت فلا ملتمس جواب . وان اسهبت فى الشكر فلا طالب ثواب . حسبى ما لدىّ من اياديه . وما غمر من فضل السيّد الأكبر ابيه . ادام الله لهما القدرة ما دام الضرب الاول من الطويل صحيحا . والمنسرح خفيفاً سريحا . وقبض الله بمين عدوهما عن كل معْن . قبض العروض من اوّل وزن . وجُمع له المهانة الى التقييد . كما جمعا فى ثانى المديد . وقُلِم قَلْم الفسيط . وخُبل كَسُباعى البسيط . وعصب الله الشرّ بهامة شانئهما وهو مخزوّ . عصب الوافر 25 الثالث وهو مجزوّ . بل اضمرته الارض اضمار ثالث الكامل . وعداه امل الآمل . وسلم سيدنا اعز الله نصرهما ومن احبّاه وقرّباه سلامة متوسّط المجموعات . فانه امن من المروعات . فقد افْتَننت فى نعمهما الرائعه . كافتنان الدائرة الرابعه . وذلك انها امّ ستة موجودين . وثلاثة مفقودين . وانا اعِد نفسى مراسلة حضرة سيدنا الجليلة عِدة ثريّا الليل . وثريّا سهيل . هذه القمر . وتلك عُمر . واعظمه فى كل وقت . اعظاما فى مقة وبعض الاعظام فى مقت . فقد نصب للآداب قبّة صار الشام فيها كشامة المعيب . والعراق كعراق الشعيب . احسب ظلالها من البردين . واغنت العالم عن الهندين . هند الطيب . وهند النسيب . ربّة الخمار . وارباب قِمار . اخدان التجر . وخدينة الهجر . ما حامامة طوق من الليل . ودرد من المرتبع مكفوف الذيل . اوفت

الاشآ . فقالت للكئيب ما شآ . تسمعه غير مفهوم . لا بالرمل ولا بالمزموم .
كأن سجعها قريض . ومراسلها الغريض . فقد ماد لشجوها العود . وفقيدها
لا يعود . تندب هديلاً فات . واتيح له بعض الآفات . باشْوَق الى هديلها
من عبده الى مناسمة انبائه . ولا اوجد على إلفها منه على زيارة فنائه . 26
وليس الاشواق . لذوات الاطواق . ولا عند الساجعه . عبرة متراجعه . انما رات
الشرطَيْن . قبل البُطَيْن . والرشاء . بعد العشاء . فحكت صوت الماء فى الحرير .
واتت براء دائمة التكرير . فقال جاهل فقدت حميما . وثكلت ولداً قديما .
هيهات يا باكية اصبحتِ . فصدحتِ . وامسيتِ . فتناسيتِ . لا همام
لا همام . ما رايت اعجب من هاتف الحمام . سلم فناح . وصمت وهو مكسور
الجناح . انما الشوق لمن يدّكر فى كل حين . ولا يذهله مضى السنين . وسيدنا
اطال الله بقاءه القائل النظم فى الذكاء مثل الزهر . وفى البقاء مثل الجوهر .
تحسب بادرته التاج . ارتفع عن الحجاج . وغابرته لِحِجل . فى الرجل . يجمع
بين اللفظ القايل . والمعنى الجليل . جمع الافعوان فى لعابه بين القلّه .
وفقد البلّه . خشن . فحسن . ولان . فما هان . لين الشكير . يدلّ على
عتق المحضير . وحرش الدينار . آية كرم النجار . فصنوف الاشعار بعده كالف
السلم يلفظ بها فى الكلام . ولا تثبت لها هيئة بعد اللام . خلص من
سبك النقد خلوص الذهب . من اللهب . واللجين . من يد القين . كانه 27
لآل . فى اعناق حوال . وسواه لطّ . فى عنق قطّ . ما خانته قوّة الخاطر الامين .
ولا عِيب بسناد ولا تضمين . واين النثره . من العثره . والغرقد . من الفرقد .
والساعى فى اثره فارس عصا بصير . لا فارس عصا قصير . وانا ثابت على
هذه الطويّة ثبات حركة البناء . مقيم تلك الشهادة بغير استثناء . غنى
عن الايمان ولا عدم . مقسم على ما قلت فلا حنث ولا ندم . وانما تخبأ
الدُرّة . للحسناء الحُرّة . ويجاد باليمين . فى العلق الثمين . ما انفس خاطرا
امترى الفقّه . من القِقّه . والوصاة . من مثل الحصاة . وربما نزعت الاشباه .
ولم يشبه المرء اباه . ولا غرو لذلك الخضرة ام اللهيب . والجمرة بنت الغريب .
وكذلك سيدنا ولد من سحر المتقدّمين . حكمة للحنفاء المتديّنين . كم له

من قافية تبنى السود . وتثنى لحسود . كالميت . من شرب العاتقة الكميت . نشوره قريب . وحمابه تثريب . اين مشبهوا الناقة بالفدن . والصحصح برداء الردن . وجب الرحيل . عن الربع المحيل . نشأ بعدهم واصف . غودروا 28
له كالمناصف . اذا سمع الخافض صفته للسهْب الفسيح . والرهب الطليح . ود ان حشيّته بين الاحنا . وخلوقه عصيم الهنا . وحكم بالقود . فى الرقود . وصاغ برى ذوات الارسان . من برى البيض الحسان . شنفا لدر النحور . وعيون الحور . وشعفا بدرّ بكىّ . وعين مثل الرقى . واعراضا عن بدور . سكنّ فى الخدور . الى حول . كاهلة المحول . فهنّ اشباه القسىّ . ونعام السى . وان اخذ فى نعت الخيل فيا خيبة من شبه الاوابد بالتقييد . وشبّه الحافر بقعب الوليد . نعتا غبط به الهجين المنسوب . والبازى اليعسوب . اذ رزق من الخير . ما ليس لكثير من سباع الطير . وذلك انه على الصغر . سمىّ بعض الغرر . وقد مضى حرس . وخفت جرْس . وللقالع . ابغض ظالع . والازرق . يجنبك عنه الفرق . فالان سلمت الجبهة من المعض . وشمل بعضها بركات بعض . فايقن النطيح . ان ربه لا يطيح . والمهقوع . نجا راكبه من الوقوع . فلن يُحرب . قائد المغرب . ولن يُرجل . سائس الارجَل . والعاب . وان لحق الكعاب . ناكب . عن ناقلات المراكب . وقالت خيفانة امرئ القيس الدباء . لراعى المباء . والاثفيه . للقدر الكفيه . نقما على جاعل عذرها كقرون العروس . 29
وجبهتها كمحذف التروس . وانى للكندى . قواف كهجمة السعدى ◆ اذا اصطكت بضيق حجْرتاها ◆ تلاقى العسجدية واللطيم ◆ فالقسيب . فى تضاعيف النسيب . والشباب فى ذلك التشبيب . ليس رويّه بمقلوب . ولكنه من ارواء القلوب . قد جمع زليل ماء الصبى . وصليل ظِماء الظُبى . فالمصراع كوذيلة الغريبه . حكت الزينة والريبه . وارتِ لحسنآ اسناها . والسجة ما عناها . فاما الراح فلو ذكرها لشفت من الهرم . وانتفت من الكرْم الى الكرم . ولم ترض دنان العُقار . بلباس القار . ونسج العناكب . على المناكب . ولكن تكسى من وشى ثياباً . ويجعل طلاوُها زربابا . ولقد سمعته يذكر خيمة يغبط المسك جارها من الشيام . وبود سعد الاخبية انه سعد الخيام . و وقفت

على مختصر اصلاح المنطق الذى كاد بسمات الابواب . يغنى عن سائر الكتاب .
فعجبت كل العجب من تقييد الاجمال . بطلاء الاحمال . وقلب البحر . الى
قلت النحر . واجراء الفرات . فى مثل الاخرات . شرفا له تصنيفا شفى الريب .
وكفى من ابن قَرَيْب . ودل على جوامع اللغة بالايماء . كما دل المضمر على 30
ما طال من الاسماء . اقول فى الاخبار . امرت ابا عبد الجبار . فاذا اضمرته .
عُرف متى قلت امرته . وابلّ من المرض والتمريض . بما أسقط من شهود
القريض . كانهم فى تلك الحال . شهدوا بالمحال . عند قاض . عرف امانتهم
بالانتقاض . على حق علمه بالعيان . فاستغنى فيه عن كل بيان . وقد
تامّلت شواهد اصلاح المنطق فوجدتها عشرة انواع فى عدة اخوة الصديق . لما
تظاهروا على غير حقيق . وتزيد على عشرة بواحد . كأخِ يوسف لم يكن
بالشاهد . والشعر الاول وان كان سبب الاثَرة . وصحيفة المائرة . فانه كذوب
القالة . نموم الاطالة . وان قفا نبك على حسنها . وقدم سنها . لتقر بما
يبطل شهادة العدل الرضى . فكيف بالبغىّ الانثى . قاتلها الله عجوزًا لو كانت
بشرية . كانت من اغوى البرية . وقد تمادى بابى يوسف رحمه الله الاجتهاد .
فى اقامة الاشهاد . حتى انشد رجز الضب . وان معدا من ذلك لجدُ مُغْضَب .
اعْلى فصاحته يستعان بالقَرْض . ويستشهد باحناش الارض . ما رُوْبة عنده فى 31
نفير . فما قولك فى ضب دامى الاظافير . ومن نظر فى كتاب يعقوب وجده
كالمهمل . الا باب فَعْلٍ وفَعَل . فانه مؤلّف على عشرين حرفا ستة مذلقة .
وثلاثة مطبقة . واربعة من الحروف الشديدة . وواحد من المزيدة . ونفيثين
الثاء والذال . واخر متعال . والاختين العين والحاء . والشين مضافةً الى حيز
الراء . فرحم الله ابا يوسف لو عاش لغاظ كمدا . او احفاظّ حسدا . سبق ابن
السِكِيت ثم صار السُكيت . وسمق ثم حنار وتدا للبيت . كان الكتاب تبرا
فى تراب معدن . بين المُحُتّ وبين المُتّدِن . فاستخرجه سيدنا واستوشاه .
وصقله فكره ووشّاه . فغبطه النيرات على الترقيش . والآل النقيش . فهو
محبوب ليس بهين . على انه ذو وجهين . ما نم قطّ ولا همّ . ولا نطق
ولا ارمّ . قد ناب فى كلام العرب الصميم . مناب مرآة المنجم فى علم التنجيم .

شخصها ضئيل ملموم . وفيها القمران والنجوم . واقول بعدُ فى اعادة اللفظ ان حكم التاليف فى ذكر الكلمة مرتين . كالجمع فى النكاح بين اختين . الاولى حل يرام . والثانية بسل حرام . كيف يكون فى الهودج لميسان . وفى 32
السبّة خميسان . يا ام الفتيات حسبك من الهنود . ويا ابا الفتيان شرعك من السعود . عليك انت بزينب ودعد . وسِمّ ايها الرجل بسوى سعد . ما قل انير . والاسماء كثير . مثل يعقوب مثل خود كثيرة الحلىّ ضاعفته على التراق . وعطلت للخصر والساق . كان يوم قدوم تلك النسخة يوم ضريب حشر الوحش مع الانس . واضاف الجنس الى غير الجنس . ولم يحكم على الظِبا بالسبا . ولا رمى الاجال . بالاوجال . ولكن الاضداد تجتمع . فتستمع . وتنصرف بلذات . من غير اداة . وان عبده موسى لقينى نِهابا . فقال هلم كتابا . يكون لك شرفا . وبموالاتك فى حضرة سيدنا اطال الله بقاه معترفا . فتلوت عليه هاتين . الآيتين . ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى . وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى . واحسبه راى نور السودد فقال لمخلّفيه . ما قال موسى عليه السلام لاهليه . انى آنست نارا لعلى اتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى . فليت شعرى ما يطلب اقبس ذهب . ام قبس لهب . بل يتشرف بالاخلاق الباهرة . ويتبرك بالاحساب الطاهرة .

33 باتت حواطب ليلى يلتمسن لها • جزل الجذى غير خوّار ولا دعر .

وقد آب من سفرته الاولى ومعه جذوة من نار ان لُمست فنار ابرهيم . وان اونست فنار الكليم . واجتنى بهاراً حيّيت به المرازبة كسرى . وحُمل فى فكاك الاسرى . وادرك نوحا مع الفوم . وبقى غضا الى اليوم . وما انتجع موسى الا الروض العميمْ . ولا اتبع الا اصدق مخيمْ . وورد عبده الزهيرى من حفرته المطهرة كانه زهرة بقبع . او وردة ربيعْ . كثيرة الورقْ . طيبة العرقْ . وليس هو فى نعمته كالربم . فى ظلال الصريم . والجاب . فى السحاب المنجاب . لان الظلام يسفر . والغمام ينسفر . ولكنه مثل النون فى اللجه . والاعفر تحت جِرْيَه . وقد كنت عرّفت سيدنا فى ما سلف ان الادب كعهود فى غب عهود . اروت النجاد فما ظنك بالوهود . وانى نزلت من ذلك الغيث ببلد طسم . كاثر

الوسم . منعه القراع . من الامراع . يا بوس . بنى سدوس . العدو حازب .
والكلأ عازب . يا خصب بنى عبد المدانْ . ضأن فى الحربُث وضان فى السعدان .
فلما رايت ذلك اتعبت الاظلّ . فلم اجد الا الحنظلْ . فليس فى اللبيد . الا
34 الهبيد . جنيته من شجرة اجتُثت من فوق الارض ما لها من قرارْ . لبنُ
الابل عن المرار . مُرّ . وعن الاراك طيب حُرّ . هذا مثلى فى الادب . فاما فى
النسب . فلم تزل لى بحمد الله وبقاء سيدنا بلغتان بلغة صبر . وبلغة
وفر . انا منهما بين الليلة المرعية . واللقوح الربعية . هذا عام . وتلك مال
وطعام . والقليل . سُلم الى الجليل . كالمصلى يريغ الضوء . باسباغ الوضوء .
والتكفير . بادامة التعفير . وقاصد بيت الله يغسل الحوب . بطول الشحوب .
وانا فى مكاتبة حضرة سيدنا الجليلة والميل عن حضرة سيدنا الاجل والده اعز
الله سلطانه كسبا بن يعرُب . لما ابتهل فى التقرّب . الى خالق النور .
ومصرف الامور . نظر فلم ير اشرف من الشمس يدا . فسجد لها تعبدا .
وغير ملوم سيدنا لو اعرض عن شقائق النعمن الربعية . ومدائحه اليربوعية .
مللا من اهل البلد المضاف الى هذا الاسم فغير معتذر . من ابغض
لاجلهم بنى المنذر . وهم الى حضرته السنية رجلان سائل . وقائل . اما
35 السائل فالحّ . واما القائل فغير مستملح . وقد سترت نفسى عنها ستر الخميص .
بالقميص . واخى الهتر . بسجوف الستر . فظهر فى فضله الذى مثله مثل
الصبح اذا لمع تصرّف الحيوان فى شؤونه فخرج من بيته اليربوع . وبرز
الملك من اجل الربوع . وقد يولع الهجرس . بان تُجْرس . فى البلد الجرد .
قدام اسد ورد . وانى خُبّرْت ان تلك الرسالة الاولى عُرضت
بالموطن الكريم فاوجب ذلك رحيل اختها . متعرضة
لمثل بختها . وكيف لا تنقع . وفى
اليم تقع . وهى بمقصد سيدنا
فاخرة . ولو نُهيت
الاولى لانتهت
الآخرة .

٣

وكتب الى بعض اولياء السلطان يشفع فى صديق له كان عاملا يعرف بالحسين بن عنبسة بن عبد الله

بسم الله الرحمن الرحيم كتابى اطال الله بقاء سيدى الاستاذ مالكاً خزائم الامور . واطياً اعناق الدهور . عن حال تُشكر . ونعمة لا تُنكر . انا معهما بالتقصير عن واجباته مقر . ولشرف اخلاقه مظهر ومسرّ . والحمد لله رب العالمين . وصلوته على صفوته المنتخبين . واحلف بالقسم العازم . والنذر اللازم . ما ذات طوق لا تنزعه . وبرد من الربيع ليست تخلعه . جاد الوسمى لها فارنّت . وبكت شجوها لا تغنّت . عاليةً ذوابة فنن غضّ . لا فى السماء ولا فى الارض . تكرر القيل . وتنطق للخفيف والثقيل . باشوَق الى هديلها 3b منى الى مشاهدته . ولا آسف على خليلها من قلبى على فائت خدمته . وان عققْت نفسى بترك المكاتبة عقوق الضب ولده . والسارق يده . فانما ذلك لهَمٍّ واغل . وخطب شاغل . وتوخّياً للتخفيف . وتنكّبا عن التكليف . وانى لاصبّ الى لقائه صبابة العود الى وطنه . والشّجن الى شجنه . واحن فى خلال ذلك الى مناجاته حنين السقاب . والهوائف الى ورود النقاب . اذ كان ضيفه لا يبيت مبيت القفر . وغير جاره مرادسا خُلب الجفر . وانتشى اخباره الطيبة انتشاء الزهر . واستافها كل عشى وسفر . ولى بها وجد الصاديه . بماء الغاديه . لا يزال يُبهجنى بها باكر مع الشارق . وآئب اياب الطارق . جعلها الله ابداً ضاحكة البشير . سارّة للصديق والعشير . وانى لاشتهر بمودّته اشتهار الابلق العقوق . واستدلّ بمعرفته استدلال شائم البروق . ولو كتمتها نمّ بها

لخلد نميمة الزجاجة بالراح . والنخلة بنفسها فى البراح . وكيف يحتمر من قاد البازل . ويستتر من طوى المنازل . والنظرة من ذى عَلَق كافيه . والنهلة 37 بعد طلق شافيه . وقد علمت ان الشاوى بساحته لا تسنح له الظباء . ولا يُهتك عليه الخباء . ولا يصادفه وِرد نطاة . ولا الشافعة لدائرة اللطاة . لكن ينام لأمنه نوم الجاريه . عن سوم الساريه . وبطرح الهموم فكرة اطراح الآبق ابالته . والمخفق حبالته . وان نزيل غيره كالاشقر ان تقدّم نُحِرْ . وان تاخّر عُقِرْ . وكان سيدى ابو فلان لا يفتا لهجا بما اولاه سيدى الاستاذ ادام الله عزه وانه بعنايته سلم . بعد ما كُلم . واستُنقذ بعد ما وُتذ . ولولا ذلك لعُدّ جناة الرائد . وحصاة الذائد . ولسقى بكدر . وترك على مثل ليلة الصدر . فانجاه الله جل اسمه على يديه من صفر الاناء . ومعر الفناء . فاضاف الله له الاجرالآجلْ . الى الشكر العاجلْ . فقد منعه ان يُجذ جذّ الصليانه . ويُقترف الصَرَبه . ويسقط سقوط ناب المخلف . ويُلتمع التماع شفافة السُعن البديع . وتلك عُرًى انعقدت . واسباب توكدت . لما كانت عناية سيدى ايده الله منه على طرف الثُمّه . ودون القِمه . فآنسه بين سمع الارض وبصرها . ومراشح 38 العين لجآذرها . شرّاب بانقاعْ . موقد ناره باليفاعْ .

تونسه دائرة لا تفزع • عند اللقاء وخطيب مصقع
سواء عليه اى حين اتيته • اساعة بوسى يتقى ام باسْعُد

وفى كل ثلاث ترد كتبه محيطة من شكر منته بالاوقار . متّصلة بذلك ذات المرار . وهل جرى على غريب شاكلة او سار فى دارس محجة انما اتبع طريقا لأسرتة كقرا الثعبان وبارىّ الصناع

وهل ينبت الخطىّ الا وشيجُهُ • وتغرس الا فى منابتها النخْلُ

وغير ملوم من عشق الثناء لانه احسن حبيب مزور . وابقى مُنفِس مذخور . واوفاك مثن ما اسديت . وجزاك معترف الذى اوليت . وقد بثّ اهل ابى فلان الدعاء فى كل ربع . ورجوه رجاء الربيع .

لِزغب كاولاد القطا راث خلفها • على عاجزات النهض حمر حواصلهْ

فانا اطال الله بقاء سيدى وهذا الرجل فرعا سمُرة . وقضيبا اراكه . وطائرا وكر .

وأُلِيفا واد . تنصرنا الغمامة الواحدة . وتضيء لنا اللمعة الفاردة . بل نزيد
على هذا التمثيل فنكون بنانى يد . وريشتى جناح . وشُعْبتى غصن . اذا
اماله النسيم ملت . وان اعتدل له اعتدلت . فلسانى ينطق عن ضميره
نطق المزمارْ . عن فم القاصبه . والاوتارْ . عن انامل الضاربه . وقد كنت عجزت
عن اداء حق سيدى عجز روق الفتاة . دون ادراك القناة . وضمين الوجْد
المورود . عن تغمير نَعَم مطرود . فما ترانى الان اقول على اىّ صِرعىّ اقع .
وفى اى وجه ابقع . حياك من خلا فوه لا أُحدّث عربيا . ولا اسال مجيبا .
حسب اللسان . تقريظ المنعم . والجنان . مقة المتفضل المكرم . ولست ادع
امتراء كرمه وان كفى . ولا اختفاء در مناقبه وان طفا . واتمام الصنيعة اتباع
الفرس لجامها . والناقة زمامها . واسعاد ابى فلان باللفظة وراء اللفظه .
والمشورة . تلى المشوره . حتى يقدم على اطفاله فهم لغيبته مبتئسون .

وبشوونه كل وقت يسألون . سوال المجدب بالكلا . والمستوحش

من الوحدة عن الملا . ويرتبون طاوعه عليهم ترقّب

مخلّفات السرب . موافاة الامّهات بالشِرب .

وبقاؤه لحاجة العظمى . والنعمة التى

ليس مثلها نُعْمى . وان كانت له

شهلاء شرّفنى بذكرها . ونقع

غُلّتى بالخدمة فيها

متطولا ان شاء

الله تع

٤

وكتب الى صديق له ساله ان ينقصه فى ترتيب المكاتبة

كتابى اطال الله بقاء الرئيس الفاضل بلا استثناء . والمشتمل بجُملة الثناء . من المستقر المانوس بحسن ذكره . الماهول بحملة شكره . عن قلب يعوم فى ولائه عوم الحجاة فى الغدير . والقطرة فى حوض الصبير . والحمد لله رب العالمين . وصلوته على خيرته المنتخبين . وشوقى الى حضرته السعيدة كرحيق اذا عُتّق جاد . وراوى اثر كلما تقدُم ساد . شوق لا تحسنه باكية هديل . ولا نامية الى جديل . وكان كتابه اذا ورد كطائر بشارة . وقع . وماء سرارة . فوجىء فنقع . والاطناب فى صفة ما عُرفت حقيقته خُلُق مجتنب . وترك البيان لما ظهر اجدر وأوجب . وفضضته عن عتائر . اللطيمه . ومقاطر . الاطيمه . وعظمت نعمة الله جل اسمه علىّ لما ذكره من ان السلامة عليه جلباب . والنعمة له
41a منزل وجناب . لانى جعلته ادام الله عزه الجُنّة الواقيه . والعُدة الباقيه . واذا تضوع لمكارمه ارج . واتصل من اغصان مناقبه حرج . اظهرتُ المرح . واضمرت القرح . كالامة تفخر بحدج ربّتها . والمعزبة بنعم اهل بيتها . وقد علمت ان تاخير الجواب انما كان لالحاق حس الشر بأُسّه . ورد غائلة الغلط على نفسه . لانى كتبت بعد ما حلِم الاديم . وبلى الردبم . وابطأ الغروب . املوُها من شفاء المكروب . والعشار الهجان . اثقل ما زجره الفتيان . وقد ايقنت ان رسل نصيحته ليس بسمار . وان صواب رايه عن غير ايتمار . ولم اكتب فى امر ابى فلان الا متشكرا . ثم ثنيت باسترفاد المعونة مذكّرا . اذ كان ادام الله عزه لا يشير لسائله الى الافد البعيد . ولا يضرب لراجيه رؤس المواعيد

أرْخِ يديك واسترْخِ • ان الزناد من مرْخِ

فامّا تدارك ما جرى من الوهم . فاذا أعطيت القوس باريها . والخيل فوارسها .

والقناة مصرّفها . دحضت قدم الباطل بثبات الحق . وزالت حنادس المين باشراق
شموس الصدق . وما استند ابو فلان الا الى هضب متالع . واعتصم بغرز جواد
غير ظالع . ما هز نابيا . ولا ارسل الى الغاية كابيا . ولولا عنايته لاعتمد على 42
اليرمع . بكفيه . واتبع اليلمع . بناظريه . ولقى ام الرُبيْق . على أُربق . ولو لم
يتعب سيدى انامله بالمكاتبه . وقلمه فى الاجابه . لكانت دلائل صنائعه ناطقه .
ومخائل احسانه مخبرة صادقه . يريك بَشر . ما احار مِشفر . كفى بضيائها هاديا .
وبنشرها مناديا . واما تجميله امر الجماعة بحضرة الرئيس ابى فلان فنعمة وليت
نعما . وكرم اردف كرما . وتلاه حضرة تالفها الخير إلف الابل السعدان . والمَحار
الغَدان . والجماعة اولياء فضلها . وغراس اهلها . واما الفصل فى ترتيب الخطاب
فلا غرو لمن نزل الىّ درجاتٍ ان ارتفع اليه درجه . ولمن سلك نحوى المشبّهات ان
اسلك نحوه المحجه . وذاك فعل مدلّ . وجهد مقلّ . فانا حينئذ كمن قام ليتلقى
الغمام شوقاً الى عذب ماء . قطع اليه ما بين الارض والسماء . وقد والله العظيم
اردت سؤاله فى الرجوع الى مرتبته فى المكاتبة واجرائى على مقدارى فى المناجاة
والمحاورة فخشيت ان يسبق الىّ ظن انا منه برئ . وبسواه جدير حرى . وكان 43
التاخّر عن ذلك زله . والترك لتنجزه غفله . لانه كلّفنى اقلاق . ثبير . ولحاق . البدر
المنير . فما بال العِلاوة بين الفودين . والبنانة بين اليدين . لا معتبة ان جاريت
ببكىّ الفطر . عن ركىّ القطر . هو بدأنى بما لا استحق . فاحببت ان أُوذَمه على الرِق .
ولم اكن كعاقر الرمل أُمطر فلا اروّض . وكحفير الميت اعوّض ولا اعوّض . لا اقل
من كونى مثل وذيلة الغريبه . وزَلَفة المضرّ الاريبه . يطّلع فيها ذو الوجه الجميل .
فتجتهد له فى التمثيل . ولابتدائه على مكافاتى شقّ الطلعة البهيّه . على صورتها
فى المرآة الجليّه . فاذا راع . فى لفظه الى اليفاع . وعدل فى الكلام فاعتدل آض .
وليه فلزم الانخفاض . وفآء . فاخذ اللفاء . وسيدى ابو فلان فرقد حندسى . وكوكب
ربيعى وروضة املى . ولما كان هو وسيّدى قمرين . فى طُفاوه . وشمسين . فى هاله .
وبُشريين فى كلمه . اقتصرت على الكتاب الى احدهما دون الاخر وانا
اهدى الى حضرتهما ثناءً مسكيا . وسلاما زكيا . يبقيان ما
رسا الثَلَمْ . واورق السَلَمْ . ان شا الله تعالى

٥

44

فصل من كتاب الى رجل قيل ان الاسد اكله بعد ان غدر به المكارى واسم المكارى موسى

ولم ازل طائش الفكر لما قيل جُهل على اى صرعية وقع . ولم يدر اين بقع . وقيل سقط العشاء به على سرحان فقلت دُهد الربن . سعد القين . ولْع . جاء به ملْع . وداخلنى لذلك هلع . والشفيق بسوء الظن مولع . فلما وردت الرُفقة رفقة حسين من افامية خبرونى انهم راوك فقلت الاشراق على ثبير . ولا ينبئك مثل خبير . فلما ورد كتابك انك لم تدخلها صرت بين عجبين عجب من موسى وعجب من حسين . ظانّ الخير . وزاجر شمالىّ الطير . فاما موسى فجرى على عادة المكارين . وذوات البُرين . وركب لهم طريقا كالقَيْع . وخطوط السَّيْح . واما حسين فهو الثقة ولكنه شبّه . وما ابه . وتحسّب . وما نسب • وياتيك بالاخبار من لم تزود • ولا

ضربت له راس موعد . واذ قد من الله بالسلامة

فاهونْ بالنصىّ . فى المكان

القصىّ . وكَرَبة فى

اليمامه . وحصاة

بتهامه

٦

فصل الى رجل كانت له عند رجل مائة وستة وستون درهما فسأل ان يشترى بها فرسا

كتبت مستهل شهر كذا عرفك الله يمن دُعجه وغُرره . ومُظلمه وازهره . 45 وشوقى اليك شوق الاسدىّ الى وشله . والنُميرى تلقاء هَمَله . والله يجمعنا فى دار الغرة . على الطاعة والمسرة . وفى خير الدور . ينزع الغل من الصدور . والمثل السائر إلا حظيّة . فلا اليّة . وما الوت فى اقتضاء فلان بهُنيدة عددا . وسنى رماء ابن مقبل مُبعِدا . وعدة نجوم الثريا . وشطر قفلة لم تنتقص شيا . فذلك مائة وستة وستون درهما ونصف وسالته ان يشترى بها ابرادا غدا عليها بالجلو . بِلوُ عمل وابن بِلو .

وقلت الشيخ ايده الله فى سيف خُضارة وجوار
النوفل وهى تدرك عنده العقربيْن . وتردّ اذى
الاشهبين . شيبان واخيه . وصفوان
ولياليه . فاعطانى فلان
امانى الرقوب .
ومواعيد
عرقوب

٧

وكتب الى خاله ابى القسم على بن سبيكة عند طلوعه من العراق ووجد امه قد توفيت ولم يعلم قبل مقدمه بذلك

كتابى اطال الله بقاء سيدى ما طلع صبير . ورسا ثبير . من معرّة النعمان 46 ولكل نبا مستقر . وردتها بعد سآمه . وورود كعب بن مامه . فانا لله وانا اليه راجعون وله الحمد ممزوجا بد الدمع . مستّكا له من الوجد السمع . وصلى الله على سيدنا محمد وعترته صلوة يثقل بها لسانى حزنا . وترجح فى المحشر قدراً ووزنا . ثم اذكر قصصى بعد ذلك

الا يا ليتنى والمرءُ ميت • وما تغنى من الحدثان ليت
يا ليت عمرا وليتٌ ضلّة سفه • لم يغز فهما ولم يحلل بواديها
لوآن صدور الامر يبدون للفتى • كاعقابه لم تلفه يتندّمُ

رحمك الله من ساكنة رمس . اصبحت حياتك كامس .

فإن ينقطع منك الرجاء فانه • سيبقى عليك الحزن ما بقى الدهر

لا آمل بعدها خيرا . ولا ازيد فى المحن الا ايضاعا وسيراً .

صلى الالاه عليك من مفقودة • اذ لا يلائمك المكان البلقع
انّى حللت وكنت جِدّ فروقة • بلدا يمر به الشجاع فيفزع
لا بارك الله فى الدنيا اذا انقطعت • اسباب دنياك من اسباب دنيانا

يا سلوة الايام موعدك الحشر . موعد والله بعيد لا سلوة حتى يؤوب عنزى القرظه . ويرجع النعمن الى الحيرة . ويبعث نبى من مكه . لولم تكن الاجال ذَنْرا . لوجب ان

أُقتل بها صبرا . على انى والله قد اعلمتها انى مرتحل . وان عزمى على ذلك جادّ 47
مزمع فأذِنَت فيه واحسبها ظنّته مذْقة الشارب . ووميض الخالب . ولكل اجل كتاب .
وحزنى لفقدها كنعيم اهل الجنة كلما نفد جُدّد . وشرحه املال سامع وافناء
زمان . والله يجعلها واياى فداءَى مولاى من كل رزيه . ويصيّره المخصوص عنى
بالعزيّه . ورب سامع خبرى . لم يسمع عذرى . والمعاذر مكاذب . غير ان الرائد
لا يكذب اهله . فان قال ادام الله عزه يأبى الحقين العِذْره . واذا سمعت بسُرى القين
فاعلم انه مصبح . وفى النوى يكذبك الصادق . فوالذى اخرج الجِذْع من الجريمه .
والنار من الوثيمه . ما نكّبْتُ حلب فى الابداء والانكفاء الا كما تُنكب خريدة
المحار . لما دونها من اهوال البحار . وانا كما علم ادام الله تاييده وحشى الغريزة
انسى الولاده . وكل ازبّ نفور

عوى الذئب فاستانست بالذئب اذ عوى * وصوّت انسان فكدت اطير
يرى الوحشة الانس الانيس ويهتدى * بحيث اهتدت ام النجوم الشوابك
يودّ بجذع الانف لو ان ظهرها * من الناس اعرى من سراة اديم

لو وردت حلب لتعينتْ علىّ حقوق إن قضيتها نِيبْتُ . وان تخلّفت عنها 48
عوتبت وقُصبت . ومن لم يهبط نعمان الاراك . لم يُعتب عليه فى اهداء
المسواك . ويُطلب من راكب هجر القَرَض . ومن مسافر البحرين الُحاس . وشوقى
الى مشاهدته شوق اليَفَن الى الشباب . والشارف الى السقاب . لو اوسِقتْه
الحمائل اضعفها عن الذميل . او طوّقته الحمائم لاغصّها بالهديل . كيف تزيد
الحمامة الخطْباء . على الحامة الُخطباء . الرياش افضل من الريش المكْر . والمنزل
اشرف من الوكر . وطوق الذهب . خير من طوق الغيهب . واين الشارف .
من اللبيب العارف . ليس ام الفصيل . من ذوات التحصيل . انما هى حنين
بعده سلو . واشتغال لب ثم خلو . واسفى على فائت قربه كاسف وحشية ترب
طلا . فى صفاصف وفلا . اتخذت بيتا كالخِدر . فى ظل الفاردة من السدر . ثم
هكعت فى الهجير فدرج الطفل . وهو لابى جعدة نصيب وكفل . فلما قضت
الرقاد . نظرت فاذا بقية اجلاد . فهى بين ولَهْ . وعلَهْ . والله سبحانه يسهّل
اجتماعا يكون به شملنا كنجوم ذات العرش . لا ترهب فرقة ولا نقص ارش . 49

وقد كنت كاتبته كتابا من الرقة اشرح له فيه ما حملنى على النزول فان كان وصل فهو الغرض . وان تخلف فالاعادة لمعناه جرض . ولكل مقام مقال . ولكل اوان ثمرة . وفى كل واد سمرة . وجدت بغداذ كجناح الاخْيل . حسن وليس فيه ما حملْ .

ان العراق لاهلى لم يكن وطنا ◆ والباب دون ابى غسان مسدود
فآنم القتود على عيرانة أُجُدٍ ◆ مهريّة مخطتها غِرْسها العِيد
كم دون مية من مستعمل قذف ◆ ومن فلاة بها تستودع العيس
حنت الى نخلة القصوى فقلت لها ◆ بسلٌ حرام الا تلك الدهاريس
أُمّى شآمية اذ لا عراق لنا ◆ قوما نودهم اذ قومنا شوس
فان يك فى كيل اليمامة عُسرة ◆ فما كيل ميافارقين باعسرا

لنفسى اقول اعييتنى بِأُشُرْ . فكيف بدرِدُرْ . وعصيتنى من شُبّ . الى دُبّ . ليس بعُشّك فادرجى . هذا احق منزل بترك . الصيْفَ ضيّعتِ اللبن . الربيع اغفلتِ الكمأة . وعلى المفازة ارقْتِ السقاء . عودى الى مباركِكِ . الحق الشر باهلك . فمن اناس ما انت . ليس النيق بمواطن الظليم . ولا الهجل بمرتع الغُفْر

لكل اناس من معدّ عمارة ◆ عروضٌ اليها يلجاون وجانب

50 وكنت ظننت ان الايام تسمح لى بالاقامة هناك فاذا الضاربة احجأ بعُراقها . والامة اجْهل بضربتها . والعبد اشح بكراعه . والغراب اضن بتمرته . ووجدت العلم ببغداذ اكثر من الحصى عند جمرة العقبه . وارخص من الصيحانى بالجابرة . وامكن من الماء بخُضارة . واقرب من الجريدة باليمامه . ولكن على كل خير مانع . ودون كل درة خرساء موَحّية . او خضراء طاميه .

اذا لم تستطع امرا فذره ◆ وجاوزه الى ما تستطيع

يكفيك ما بلّغك المحلّ . ان عجز ظل عن شخصك فلا يعجزن عن عضو منك . فلما زبنت الضروس الحالب . ونزت العنود تحت الراكب . ومنعت القَلوع النازع . ولم تُعمّ القَلوب شاكى الاريز . وغشى القول وجه المشتار . وخيّب رائدا سحاب . وكذب شائما برق . واخلف رُوَيْعيا مظنه . عادت لعِتْرها لميس . وذكر وجاره ثعاله . وطرب لوكنته ابن دايه . وما هبطتُ فى طريقى واديا . ولا فرعت

جبلا . ولا حملتني سفينة . ولا ذلت لى مطية . الا بمنّ الله سبحانه ومنة سيدى وعنايته وجاهه واياديه اكبر من الشكر . واوسع من احاطة الذكُر . وقد علمت انه يعمل ذلك معى لا يريد جزاءً ولا شكورا . ولكن لما كان السكوت 5a غباوة عند الجماعة . والشكر اذية لمسدى الصنيعة . كان احتمال ملامة واحدة ايسر من احتمال ملاوم كثيرة . واما سيدى ابو طاهر فقد حملنى من الانعام اوقالا لا آمل النهوض بجزء منه وما ورث برى عن كلالة . ولا اخذ تفقدى من دار غرْبه . شِنشِنة من اخزم . ونَشنَشة من اخشن . انما تقيّل اباه والشكير نابت من العضه . والبرم من السلمْ . ومن اشبه اباه فما ظلم . ما زالت كتبه تطرق اصدقاءه محافظة على المكارم . ومراعاة لامر غير لازم . حتى جعلهم اليّ كعرف الفرس . او قوى المرس . وكلما عرضوا قضاء حاجة اعرضتُ عن تكليف المشقه . لانى اعتقد حكمة زهير فى قوله

ومن لا يزل يستحمل الناس نفسه • ولا يُعفها يوما من الذل يسأمِ

ولو علمت انى ارجع على قرواى لم اتوجه لهذه الجهه . ولكن البلاء موكّل بالمنطق . والخِيرة مغيّبه . والخطوب مثل دوك النوفل يفتح بعضه عن مثل نبات 5b الغَمَق . وبعضه عن ذوات النسق . لا يدرى الرجل بم يولع هَرِمه . ولا الى اى اجمة يسوقه جده . ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسّنى السو . وُجد فى لوح

يا ايها المضمر هما لا تهمْ • انك ان تقدر لك الحمى تحَمْ[1]

ورعاية الله شاملة لمن عرفته ببغداذ فلقد افردونى بحسن المعاملة واثنوا على فى الغيبه . واكرمونى دون النظراء والطبقة ولما آنسوا تشميرى للرحيل واحسوا بتاهّبى للظعن اظهروا كسوف بال . وقالوا من جميل كل مقال . وتلفعوا من الاسف ببرد قشيب . وذرفت عيون اشياخ شيب . فلا اله الا الله اىّ نابتة ليست لها راعيه . لا تخلو فاغية من سائفه . ولا تعدم الخرقاء ثله . ولا التّفال

---

[1] بقيته ولو علوت شاهق من العلم • كيف توقيك وقد جف القلم • وخط ايام الصماح والسقم

سائقه . ولا السجة قانيه . وامرونى لرغبتهم فى صقبى منهم بامور تنهى عنها القناعه . وتكف دونها العاده . وما ابعد نضادِ من جبال الضريب . واشد اختلاف الغائر والمنجدين

شتان ما يومى على كورها • ويوم حيان اخى جابر
على حين ان ذكّيت وابيض مفرقى • اسام الذى اعييت اذ انا امرد
اماوىّ ما يغنى الثراء عن الفتى • اذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

53 والله يحسن جزاءهم ان كان ما فعلوه حفاظاً فهو منة عظيمه . وان كان نفاقاً فهو عشرة جميله . وانصرفت وماء وجهى فى سقاء غير سرِب . ما ارقت منه قطرة فى طلب ادب . ولا مال . ومنذ فارقت العشرين من العمر ما حدّثت نفسى باجتداء علم من عراقى ولا شآمٍ . من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد له وليّا مرشدا . والذى اقدمنى تلك البلاد مكان دار الكتب بها

ولست وان احببت من يسكن الغضا • باول راج حاجة لا ينالها

شرفا لذلك المنزل منزلا وللساكنين به نفرا . ولماء دجلة واديا ومشربا .

وانى بتهيامى بعزة بعد ما • تخليت من حبل الهوى وتخلتِ
لكالمبتغى ظل الغمامة كلما • تبوّأ منها للمقيل اضمحلّتِ

وكنت اذا خبّرت رجلا بمسيرى بانت فيه كآبة وبدت عليه كبوة فكتمت ذلك عنهم كتمان المراة ضرتها بالغيب . ما فى جسدها من سوء وعيب . فلما علق حرباءُ البين تنضُبته . ووقف صُرد الفراق موقفه . كنت واياهم كابى
54 قابوس وبنى رواحه • قال لهم خيرا واثنى عليهم • وودّعهم وداع الاتلاقيا • وسرتُ عن بغداذ بستّ بقين من شهر رمضان سيرا تنحط أبله . وتئطّ نسوعه . وتوقّع الغرق سفنُه . يودّ الماشى الرجيل فيه انه بعض الركْب ولو كانوا ركبان الجذوع . وانه انتعل ولو باديم الوجه والجبين واضطجع ولو على القَصَد والشبهان . عند الصباح يحمد القوم السرى . الغمرات ثم ينجلين . ومررت بطرف الشهباء لانى سلكت طريق الموصل وميافارقين . وفيها امواه كامواه الطثرة والعُذيب فسبحان الله القديم

وردتُ مياها ملحة فكرهتها • فسقيا لأهلى الآوّلين ومائيا

كلما شحجت النواعب قلت خيرا ايتها الطير لا علم لك بما كان ولا علم لك بما يكون . ووراءك وراءك فغيرى من تهيّبين . طالما نزل نازلك على النبملة فهاض جناحه الوليد

من مبلغ عمرو بن لأ • يِ حيث كان من الاقاوم
لا يمنعنّك من بغاء • الخير تَعْقاد التمائم
فلقد غدوت وكنت لا • اغدو على واق وحاتم
فاذا الاشائم كالايا • من والايامن كالاشائم
وكذاك لا خير ولا • شر على احد بدائم 55

ولما نزلنا بالحسنية تساوى حامل المال . وحامل الرمال . وقل بلاء الغادى ابن قال . والرائح اين عرّس وبات . فلم نزل كذلك حتى بلغنا آمد ثم عادت السبل الى غوائلها . وسدكت الرفاق بمخاوفها

فما بلّغتنا الا جرنفا • بلا نِقْى العظام ولا سنام

ولما فاتنى المقام بحيث اخترت اجمعت على انفراد يجعلنى كالظبى فى الكناس . ويقطع ما بينى وبين الناس . الا من وصلنى الله به وصل الذراع باليد . والليلة بالغد . وانا احمل الى مولاى ادام الله عزه والى مولاى ابى طاهر عضدنى الله ببقائه سلاماً له نضرة الالاء . وصفاء الماء . وعذوبة الارى . وتتابع القطر . وخلود النجوم . وارج العرار . وتالّق الومبض .

والسلام

٨

وكتب الى اهل معرة النعمن مقدمه من بغداد ولم يصل اليهم

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب الى السكن المقيم بالمعرة شملهم الله بالسعادة من احمد بن عبد الله بن سليمان خص به من عرفه وداناه سلم الله 56
الجماعة ولا اسلمها . ولمّ شعْثها ولا آلمها . اما الآن فهذه مناجاتى اياهم منصرفى عن العراق مجتمع اهل الجدل وموطن بقية السلف بعد ان قضيت الحداثة فانقضت . وودعت الشبيبة فمضت . وحلبت الدهر اشطره . وجربت خيره وشرّه . فوجدت اوفق ما اصنعه فى ايام الحياة عزلة تجعلنى من اناس كبارح الاروى من سانح النعام . وما الوت نصيحة لنفسى . ولا قصرت فى اجتذاب المنفعة الى حيّزى . فاجمعت على ذلك واستخرت الله فيه بعد جلائه على نفر يوثق بخصائلهم . فكلهم رآه حزما . وعدّه اذا تمّ رُشدا . وهو امر سرى عليه بليل . قُضى ببقّه . وخبّت به النعامه . ليس بنتيج الساعه . ولا ربيب الشهر والسنه . ولكنه غذِىّ الحقب المتقادمه . وسليل الفكر الطويل . وبادرت اعلامهم ذلك مخافة ان يتفضل منهم متفضل بالنهوض الى المنزل الجارية عادتى بسكناه ليلقانى فيه فيتعذر ذلك عليه فاكون قد جمعت بين سمجين سوء الادب وسوء القطيعه . ورب ملوم لا ذنب له . والمثل السائر خل امرءاً وما
57 اختار . وما سمحت القرون بالاياب حتى وعدتها اشياء ثلاثة نُبذةً كنبذة فنيق النجوم . وانقضابا من العالم كانقضاب القائبة من القوب . وثباتا فى البلد ان حال اهله من خوف الروم . فان ابى من يشفق علىّ او يظهر الشفق الا النفرة مع السواد كانت نفرة الاعفر او الادماء . واحلف ما سافرت استكثر من النشب . ولا اتكثر بلقاء الرجال . ولكن آثرت الاقامة بدار العلم . فشاهدت انفس مكان

لم يسعف الزمن باقامتى فيه والجاهل مغالب القدر فلهيت عما استاثر به الزمان والله يجعلهم احلاس الاوطان لا احلاس الخيل والركاب . ويسبغ عليهم النعمة سبوغ القمراء الطلقة على الظبى الغرير . ويحسن جزاء البغداذيين فلقد وصفونى بما لا استحق . وشهدوا لى بالفضيلة على غير علم . وعرضوا علىّ اموالهم عرض الجد . فصادفونى غير جذل بالصفات . ولا هش الى معروف الاقوام . ورحلت وهم لرحيلى كارهون .

وحسبى الله وعليه يتوكل المتوكلون

٩

وكتب رقعة الى بعض العلوية

تلاد ليس بطريف . مودة سيدى الشريف . اذ وُدّ العلوق . ود مالوق . ونُبّئته سأل عنى بكرم الطبع . فصادف دروساً من الربع . وقد كنت 58 عرفته بالعراق ما عزمت عليه من انفراد . يعجز عن المراد . ووجدت الوالدة رحمها الله قد سبق بها القدر . الى المدر . فاتت النية . بالمنية . فانطويت على ياس . ومجانبة للناس . وقدمت اخا إنفاض . الى امور انا بها غير راض . من جدب عامّ . اتصل فى عام بعد عام . الى غير ذلك مما الله المنهض به وقد بعثت شيا من النفقة . نفسى من قلته كل المشفقة . والسفر عود فى مغمضة . يعبث بكل عِضة . ولكن اشبه امرءاً بعض بزه . وجاءك الناكز بدون الرِّقّ . واعطتك لجاذب بعض غبوق . يا فطامِ اهلا بفطاك . خذى من جذع ما اعطاك . وانا اساله بسط العُذر وايناسى بقبول ما انفذته متفضلا

١٠

وكتب الى ابى طاهر المشرّف بن سبيكة وهو ببغداذ يذكر له امر شرح السيرافى وما جرى فيه من التعب

بسم الله الرحمن الرحيم لله الحمد . ما أُحصى خطأً وعمد . وصلى الله على محمد ما التام شعْب . وعلا كعباً كعب . شوقى الى سيدى الشيخ شوق البلاد 59 الممحلة . الى السحابة المنسحلة . وانتفاعى بقربه انتفاع الأرض الاربضة . بالامواه الغربضة . وتشوّقى لاخباره تشوّف راعى انعام . اجدب فى عام بعد عام . لبارق يمان . هو له مرتقِب ممان . واسفى لفقده اسف وحشيّة . رادت بالعشية . فخالفها السرحان الى طَلاً راد فحار فهى تطوف حول ايل . وترى صبرها لبس بجميل . وتذكّرى لاوقاته تذكّر الفطيم ثدى الوالدة . والمفحم بالملح لبنى خالدة . وانتظارى لقدومه انتظار تاجر مكة وفد الاعاجمْ . ورب الماشية ظهور النبت الناجمْ . وفزعى الى نجدته فزع الغَرِقْ . الى سيف دان . والفرِقْ . الى سَيف ليس بددان . واعتذارى من التثقيل عليه اعتذار الورقاء من الغدر . وابى جهل من حُضور بدر . وثقتى بمكارمه ثقة راكب الماء بالعامهْ . والحارث بالنعامهْ . وشكْرى على اياديه حبيس ليس بمحتبسْ . يتجدد مع النفَسْ . وفى هذا اليوم وهو يوم كنا وصل كتابه فسُرِرت به سرور الظمان وردًا نميراً . والساهر صادف سميراً . وكان ما ضمنه من ذكر سلامته بشرى لها تخفّ الاحلام . خفة القائل 60 ولا يلام . يا بشراى هذا غلام . والله يمنّ باجتماع . ليس بعده من ازماع . وفهمت ما ذكره من امر النسخة المحصّلة وهو ادام الله عزه الكريم المتكرم . وانا المثقل المبرم . جرى فى التفضّل على الرسْم . ولحمت لحاح الوسْم . فاما الشرح ان سمح القدر . والا فهو هدر . وقد كنت قلت فى بعض كتبى الى سيدى ان

كانت الخطوط مختلفه . والابواب موتلفه . فلا باس يغنى عن لبس السرق . ثوب جُمع من شتى خِرَق . ما عدا خطّ على بن عيسى فانه رجل اتكل على ما فى صدره . فتهاون باحكام سطره . وانما رجوت ببركته ان يتفق اناس كما قال الله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين . فاما انا فلا اقول عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا . واما ما ذكره من فساد الناس فاحلف ما حَلِم اديم . وان ذلك لداء قديم . النَمِرة بنت النمره . والقتادة اخت السمره . وهو ادام الله تاييده من الملامه . فى احصن لامه . فلا يبعثه تعذر الحاجه . على اللجاجه . اهو الكتاب المكنون . الذى لا يمسه 61 الا المطهرون . انما هو اباطيل لباه . وتعليل فى ايام الحيوه . وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور . فاما سيدى الشيخ ابو عمرو فان اسمه وافق آيه . بلغت

بفالها النهايه . وهى قوله جل اسمه كشجرة طيبة اصلها ثابت
وفرعها فى السماء وانا والجماعة نهدى الى سيدى
الشيخ والى جميع اصدقائه سلاما تارج
الكتب بحمله . وتروّض المجدبة
من سبله . وحسبى الله

١١

وكتب الى ابى عمرو الاستراباذى فى امر شرح السيرافى

بسم الله الرحمن الرحيم سلام كالعتيرة الهنديّة . والروضة النجديّة . يتصل بسحاب غمر . الى الشيخ الفاضل ابى عمرو . اطال الله بقاءه ما سكنت الفْ . وافتقر الى جواب حَلِف . وقرّنه الله بسعد دان . كما تقارن الفرقدان . لا يرهب منهما فراق . ما تبع الشروق اشراق . فشوقى اليه لو تذرّى جبلا اتعبه . او سلك فى وادٍ لرعَبه . جمع الله بيننا فى دار مقام . سالمة من الانتقام . وورد كتابه فابهجنى ابتهاج الطائر المحتبس بالتسريح . والاسير المصفد بفكاك مريح . وسُررت بخبر سلامته سرور الدارِيّين احدهما بنُسكه . 62 والآخر بمِسكه . ادامهما الله له حتى يصير سهيل قمرا . والدر فى العضاة ثمرا . وقد اثنيت وشكرت . وفى املال الصديق ابتكرت . اوغلت كل الايغال . وقطعت عزمهم الاشغال . اذ كانت عند طلاب العلم بمدينة السلام كشجر النُعرى . لا يسقط ورقه . والماء الصرى . لا يؤمن شرقُه . لا سيما من جمع نَور الآداب . من كل هضب وعداب . كان ايسر من عنائه فى ذلك قذف الشرح فى سَيْح . حتى يُعشب خد شُرَيح . فهو فيما روى ثطْ . ما اشعر وجهه قطْ . كفانى الله وله الحباء . ان تُبدل من الشين الباء . فيصير الشرح من الشقاء البرْح . على الاصدقاء اهو المصدر من قوله تع الم نشرح لك صدرك ام من قوله عز سلطانه فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام انما هو افانين كلام اصبح وهو مجموع . المقيس فيه والمسموع . لا يخلد من رواه . قد عاش الناس بسواه . انى وحياته الكريمة قد خفت ان يجعلنى الاخوان لاجله فيمن شرح بالكفر صدرا . ولن اخاف منهم غدرا . لا الصارم 63

مقلت . ولا فى الشامخ توقلت . والكريم المبرّز كجواد بعيد الشاو . كلِف شاوًا بعد شاو . فجاء محمود الآثار . منزها عن كل عثار . دالًا على اليمن بغرة زاهرة . ودائرة سمامة ظاهرة . ولن اقول من غاب . ريش سهمُه اللغاب . ولا اقرأُ لكتاب ابى سعيد . اولئك ينادون من مكان بعيد . بل انا من التثقيل حذِر . مشفق من ذلك معتذر . وانما سألت ان يستسعد برأيه لقلة نظرائه وهو عندى اجلّ . والكتاب ايسر واقلّ . من ان يُكلّف خطوات . ولو كن كدبيب القطوات . وانا اسال الشيخ الاديب الفاضل أن يسعفنى
بكتاب منه يشتمل على اسطر . كان فيه ريح القُطُر . يضمن
طيب خبر . هو اذكى من العنبر . واوامر منه
ونواهٍ . ما انا ان امتثلتها بواه .
واستودعه الله وديعة
ضنين . عند
ثقة امين

١٢

وكتب الى ابى طاهر بن سبيكة وكان قدم من العراق فاصابته طعنة فى بنانه واضرت به بعض الاضرار

64 بسم الله الرحمن الرحيم قد انعم الله علينا بسلامته انعامه على الطائر
بجناحه . والمدنَف بتماثله وصلاحه . ولم تكن النعمة واحدة بل كانت النعم
بذلك مترادفة وما عرفت قبلها بُشرى تُحسب مثلها لا اقول بشرى الملك
بالسلامة من المهْلِك . ولا الترب . ادرك يسار المترب . ولكن بشرى قوم
شربوا ماء الحيوان . وبشِّروا بالرحمة والرضوان . وبُعثوا من التراب العقيم .
الى نعيم فى الجنة مقيم . فالنفوس الى خالقها وهِلة . والانامل مرفوعة
مبتهلة . على من بسط يده اليه طاعنا . ألّا يتبع ابدا ظاعنا . ولا يربح
ما بقى مالاً . ولا تسعد يمينه شمالا . اشقاه الله ولا سقاه وعمره . ولا ملأ
من اللبن غُمَره . ان قرب من خُلة فاقصته . وان ركب مطية فوقصته .
سخد الواحد ضب كُدْيه . لا يامن من حد المديه . ولا يزال حيوته محتفرا .
ليدمى بذلك يدا وظفرا . وغودر فى المحتمل كباز قصيص . لا بقدر على النهضة
ولا المنيص . لا بنقع ما عاش بشراب . وأولع به فتيان الاعراب . وجُعل افقر
الى الماء من النون . واسكن بالجدّاء الظنون . ليغبر صادبا مروعا . لا بملك
65 فى المورد شروعا . فاما المال فمستعار . ليس فى هلكته عار . والآمال كالسحب
منها السيّق . ومنها الريّق . وانما يلام الرجل على سوء العمل . لا على
فوات الامل . والى القدير نرغب ان يُخلف . ما تلف . وان يجعلنا له فداء .
عودا بالنية وابْدآء . وكانت المسرة بهذه الموهبة ثلاثة اصناف منها لوالده اذ
كان أُنسه به انس الغصن بثمره . والافق بقمره . وثانيا له فى نفسه اذ كان

قدومه حلب قدوم الضحاك برام . والناسك بيت الله الحرام . وثالثا ليس ببهل لى ولجماعة الاهل جمع الله بيننا جمعا مرضيا . لا يكون بمنه منقضيا . فشوقنا اليه شوق العامل الى الاجر . وقلق الحندس الى ضياء الفجر . فاما الحاجة التى انعم بحملها فوددت انها على خطرها عندى ونفاستها فى نفسى فداء لنسع رحله . والشسع المنقطع من نعله . فاقول قول عدى ذى القمر . لمّا قتل بُجير بن عمرو . بوْ من غير ريب . بالشسع من نعل كُلَيْب . وكونه فى هذا السفر . الهجنا بالسؤال عن بنى جعفر . كانهم الاوداء . وانهم للاعداء . سوال المجدب عن الغيث اين مسقطه . وكشف الغراب عن حب يلتقطه . ولم نزل قبل ان يضح لنا الخبر ذوى ليل ابدى . كانه ليل الكندى . لانا نحذر 66 عليه من الشعرة السبطة او الجعده . فكيف من سنان الصعده . فالحمد لله الذى جعل الرزيئة فى المكتسبْ . دون النسبْ . وفيما تفنيه النفقه . لا فيما تعظم عليه الشفقه . وانا اهنئه ووالده بالسلامة سهمى به الفائز . وحظى فيه الحظ المجاوز . وقد سبق اقرارى بالتشفيل . فغنيت عن اعادة القيل . وقد كلّفته معرفة قوم كالاطمار . فى غير خَلوقتهم اتيمار . وان طريقا من طرقه . لتوازن بذهب العراق وورقه . وعلمى بمروته علم اليمنى بالحبير . ولا ينبّئك مثل خبير . وهذه طربق لا تحتمل التجمّل . وبقى للعارفة من ان تكمل . تعريفى من غير نقيمه . ما وُزن فى القيمه . لابادر بانفاذه فلو حضرت لم ابلغ ما بلغه . ولا سُوّغت من قضاء المآربة ما سُوّغه . وانا اهدى اليه والى والده سلاما لا يُغرِض . ولا ينفرض . وكذلك الى غلامه مقبل فهو وان اسودت بردته . آثر عندنا من ابيض لا تصدق مودته

١٣

وكتب الى ابى طاهر المشرف بن على فى بعض اوباته من العراق

67 بسم الله الرحمن الرحيم ما شوق عبد المطلب الى النمريه . وكُثيّر الى
الضمريه . بغالب اذا حُصّل شوقى المتصل الى سيدى الشيخ وُقى . وبقى . ما
عُمر فى السهول ربع . ونبت فى الجبال الراسية نبع . وكيف لا يضطرم شوق
ولدتْه القرابه . وارضعتها بلبانها الموده . وربته الايدى المتتابعه . نضح الله
ظماى من لقائه . وعضد الجماعة ببقائه . فهو نجم ساريها . وثِمال مقيمها .
ومصيب الغرض من سهامها . والله نسال اجتماعاً لا يفرق عليه من
شتٌّ . وليس حبله بمنبتٌّ . وانا من جذلى بسلامته دامت لى فيه متواصل
الشكر . امزج عتابا بشكر . قد كان يجب اطال الله بقاء سيدى اذا لم تكن
البادية اختطفت . ولا السرّاق فى بغداذ تحيّفت . وكان الله جل اسمه قد منّ
بربح مكتسب . لم يكن فى الظنة بمحتسب . ان يقتصر من بر الجماعة على
ما سالته من الحاجة المونية المعنّية التى آدته وكلّفته . ما لم تكن نفسه
الشريفة احياها الله اليفته . فالان جاءت الحاجة ميسّره . والهدية مضاعفة
موفّره . فكان ذلك كما قال الله تع لقد جئت شيا إمرا . وكما قالت العرب
68 كلاهما وتمرا . فالحمد لله الذى جعلنا كاهل البحرين . وجعل سيدى الشيخ
كالنخلة الكريمة تاكل رطبها واليابس . وتتخذ خوصها ملابس . ولو لا النمسّك
بطاعته والخشية من المام سخطه لوجب ان نقبل التمر . ونعصى فى الملابس
الامر . فنكون كقوم قال لهم ابن الزبير اكلتم تمرى . وعصيتم امرى . جعل

الله سيدى من الذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما . ان ما فعل سرف . ولو انه من بحر يغترف . لو كان قليلا او وسطا . لكان العذر فى قبوله منبسطا . فاما هذه القيمة التى هى بغية للمهاجر . وبضاعة للتاجر . فاخذها اغتنام لا يحسن . ولا تنطلق بردها الالسن . وقد علم كل غُمرْ . ان تهامة كثيرة السمُرْ . وان مروته تغلب حاله . وتجشّمه السفر وارتحاله . وانما يُتجمل عند الغريب . لا القريب . ولصاحب الود البدى . دون صاحب الود الابدى . وقد كان نفذ كتاب جماعتنا نقسم فيه بمحرِجات . لسن على الكذب معرّجات . انا هذه الطريق لا نرزأ ماله . وان حدا الغضب جِماله . وبادرنا بالكتاب عند وروده حلب خيفة مما صنع . فما اقصر ولا امتع . ونفذ الكتاب 69
على يد رجل سيّار . يُعرف ويحه بالمعيار . وذكر انه دفعه الى مقبل سلمه الله

فما ادرى اوصل فعُصى . ام ضيّع حامله ما وُصّى . واى ذلك كان

فقد وجبت الكفارات . ايماننا على الحنث موفرات .

وانا اهدى الى سيدى والى مولاى الشيخ

والده شرفنا الله ببقائه سلاما

يسطع بنور معرّسه

ويتضوع بمسك

نَفَسه

١٤

وكتب الى ابى طاهر وقد بلغه انه قد عزم على المسير الى الفسطاط على غير طريق معرة النعمن

بسم الله الرحمن الرحيم شوقى اليك وفّر الله حظّك من المراعاة . تربّة مواضى الساعات . كتربّة الظوار طفلا مقتبلاً . وشخت الضرم سقطا مشتعلاً . فما ظنك بجمرات . القين فى يابس غضاً او سمراتْ . انهن لذوات التهاب . لا تدرك صفته بالاسهاب . والله تعالى يطفى جمرة اللوعه . ويكشف غمرة الهموم . باجتماع ومجاورة يغنيان بالالفة عن المزاورة . فعسى الاوقات . ان يعدن باذن الله وهن ٧٥ متالفات . فقد مضى الزمن وهن كُدْر . والايام لما علمت غدر . ولا رزيئة مع بقائك . ورجاء الزلفة بلقائك . وكان كتابك اطمعنا فى عيش خفْض . ودنو بعض من بعض . ثم ابت الايام الا نقض المِرّة . وتعرضا للشِرّة . قرنك الله بالخيرة والسعد . فيما سلف ومن بعد . وعرّضت فى رقعتك ان طريقك على غير معرة النعمن . فنعشت وجدا مُنهِجاً . وبغشت مسرورا بالمكاتبة مبتهجا . وقد نُهى عن وصال الصوم . وانما هو صلة يوم بيوم . فكيف بصلة غيبة بغيبه . تقرن صديقا بالخيبه . ورايك العالى فى المام بالمعرّة من غير فوات . للاحياء متعهدا والاموات . وقد علم الله جل اسمه ان منزلى من امطارك خضِل . وانك علىّ لمتفضل . وعندى من مبارّك جديد ما لُبس . وقديم لم يهمّ ان يندرس . ولو ادعيت المروة لزعمت انى تعلمتها من آل سبيكة كثرهم الله ولكن الدعوى تفتقر الى بيّنة والبينة غائبة والسكوت اجمل . اذا كان الامر يحتمل . وغناؤك فى الحاجة يعدل هضبة عسجد . وغضْبة من الزبرجد . وانت

٧١ على جناح سفر وظهر طريق والنُغبة بعد النغبة تنزح المزاده . والودْعة الى الودعة قلاده . للراحلة وليس من اهديت له الدُرة فقبلها بمعذور فى ترك وفاء المخشلبة اذا استقرضها . وانا اهدى اليك والى والدك ادام الله عزكما سلاما لو رُئى لمع . ولو نسم لتضوع . يبتدا به كالتكبير . وان كان مجيئه فى الاخير . وحسبى الله وحده

١٥

وكتب من معرة النعمن الى ابى بكر محمد بن احمد الصابونى البغدادى

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لاله السماء . من اول نفس الى اخر ذماء . وصلى الله على الكوكب الطالع بعد الفترة . والعِترة الموفية على كل عترة . وسلم الله الشيخ سلامة ثلاثى الجِيمْ . من حذف يقع للترخيم . واطال الله بقاءه حتى يصير العنبر خَضمْ . عنبراً بالنار يهتضم . وشوقى اليه والى الجماعة الذين عرفتهم بمدينة السلام كالنسيم لا يجمد . ونار فارس ليست تخمد . وفقرى الى لقائه ولقائهم فقر الذى املق الى الصلة . وبيت الشعر الى قافية متصلة . جمع ٧٢ الله بيننا بتيسير . جمع سلامة لا جمع التكسير . وعيشتى منذ فارقتهم كآخر المنادى العَلَم . واول المصغّر الذى ليس بمبهم . فاما سيدى الشيخ ابو احمد فطربى اليه لا يودع فى كتاب . ولو مر برحبة بنى عتّاب . حين يكون فراتهم غائضا . لحسبوه زايداً فائضا . وقد عرضت الى الشيخ حاجة جعلتها فيها عماد

المضوفة . لا العماد عند اهل الكوفة . وانما حملنى ان اخصّه بها دون سائر من عرفت ان اسمه ادام الله عزه كاسم نبى بالشفاعة حقيق . والكنية كنية الصديق . والصابونى . هجاؤه صاب ونىّ . صاب من صوب المطر . والونى اللؤلؤ فى شعر ابن حجر . والغيث يحمد وانما انبت زهَرا . فكيف اذا امطر جوهرًا . ومنزله درب السدرة تلك فى الارض سدرة نُهى . اذ فى السماء سدرة المنتهى . بمربّعة الزيّاتين . فبخ بخ يكاد زيتها يضئ

ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى

الله لنوره من يشاء

١٦

وكتب الى الشيخ ابى احمد عبد السلام بن الحسين

73 اطال الله بقاء سيدى الشيخ الى ان تُنقل عُرَيّا . وتنطق العرب بمكبّر الثريّا . وادام عزّه الى ان يصبح ارابْ . وهو باز فى الجو او غراب . كم اكتب فلا يصل . وانا من ذلك متنصّل .

يا حبّذا جبل الريان من جبل • وحبّذا ساكن الريان من كانا

وحبذا نفحات من يمانية • تاتيك من قبل الريّان احيانا

ما عنيْتُ بالريّان الا منزله حيث كان . ولا بساكنه . الا شخصه حيث حل من اماكنه . وذلك سائغ اذا جعل مثلا . كما اقول لا فتى الا عمرو وان عنيت غير عمرو رجلا . واسفى لفراق سيدى الشيخ ادام الله عزه اسفُ ساقِ حُرّ . ساق الطرب الى الحر . توارى بالوريقة . من حرّ الوديقة . كانه قينة وراء ستر . او كبير حُجب من الهِتر . فى عنقه طوق . كرب يقصمه الشوق . لو

قدر لانتزعه باليد . من المقلّدْ . اسفا على إلف غادره للكمد . اى جِلْف
رَسْله فهلك نوح . فالحمائم عليه تنوح . يسمعك بالغِناء . اصناف الغناء .
ويظهر فى الغصون . خبئ الوجد المصون . ان سلك طريقة الغريض . ترك
المشتاق بالجريض . ويجى بالبدىّ . ان جاء بلحن معبدى . يدعو نوادب . 74
الى الكلف اوادب . ويحهنّ ثاكلات . لسن على الأول بمشكلات . شجب
قعيدهن اثر ودّ . فورثن بكاءه جدّا بعد جدّ . عمرك لقد اسرفن . والعيون
ما ذرفن . لا ادرى والامر اذْب . اغناء ذلك ام ندب . كل خطباء كخطيب .
فى الغصن الرطيب . قد التثمت بقار . فى المنقار . ووطئت فى الدم .
بالقدم . واضرم ناره الفواد . فالقلادة حُمَمٌ والثوب رماد . بل اسف ورقآء . لاح
لها نجم الخرقآء . وكانت يمانية الدار . فهبط بها بعض الاقدار . ارضاً تَهِمه .
لا مُرِذّة ولا مُرهِمه . فلما بصرت بسهيل . ذكّرها ايام اهيل . عهدتهم فى
بلاد القَرَظ . كلهم بها ليس بقَظّ . فضاق بغرامها الجيد . فهى تهتف وتجيد .
تخفف بخروج الاصوات . ما تجده من كرب الاموات . ظنّت الّا مفاصْ . من
ضنك الاقفاص . فهى تودّ ان الله مسخها زرقاء نهار مترنّمه . او ورقاء ليل مهينمه .
لتفوز بالخلاص . من بعض الخماص . ومستقرى معرة النعمن . والفتنة عندنا
صمّاء . طعان بالمرّان ورماء . انما يجى الصيف . وقد سلّ السيف . ولو
قدرت لم اقدح الا بمرخ . ولا سكنت بلدا غير الكرْخ . ولكن نِضوى معقول . 75
فرحم الله لبيداً حيث يقول

لما راى لُبد النسور تطايرت • رفع القوادم كالفقير الاعزل

وانا اهدى الى سيدى الشيخ جمّل الله الدنيا ببقائه . والى جماعة اصدقائه .
وغلمانه سلاما يونس موحش الامْرات . ويتصل من الشام الى
الصراةْ . اذا مرّ بموقدى نار غضوية حسبوا غضاها
قُطرا . لتركه الهواء عَطِراً

١٧

وكتب الى خاله ابى القسم على بن محمد بن سبيكة جوابا عن كتابه فى امر الشيخ ابى الحسن محمد بن سعيد ابن سنان اعزه الله

بسم الله الرحمن الرحيم شوقى الى سيدى اطال الله بقاءه ان انشأت اصفه . فما انصفه . اذ كنت اختصر . واقتصر . فاظلم شوقى فى الاختصار . ولا يصل الى الانتصار . واذا كان الامر كذلك فمن العدل المطلوب . ان اكتفى بضمائر القلوب . لانها تخبّر . واحسن عبارة تعبّر . والله المرغوب اليه فى هبة اجتماع للبرّ بريح من تفرق للجسد بارْ . ويغنى المتلهف عن توكّف الاخبار . وفى هذا اليوم وهو السابع من الشهر الاصم اخذ الله فى سعادة سيدى 76 على يد زمن سفيه . وجعل الشهور كلها صمّا عن استماع سوء فيه . ورد كتابه ادام الله عزّه بتاريخ عشر بقين من جمادى الاخرة كتبته انامل غير مجيدة . ولم تزل للخير جِدّ متعمدة . وفهمته فشكرت الله تع على سلامة الحوباء الكريمة . الموفية فى كل صريمة . فاما فلان فعلمى ان سيدى بمودته غير مرتاب . مغنيا له عن تنحر كتاب . وانا رجل حسُن من العامة رزقه . فوضعوه موضعا لا يستحقه . واظن سيدى ابا فلان اصغى الى اقوالهم فىّ ومن يسمعْ يخلْ . وعلى اننى لا ابخل . وحاشاه ان يكون كالغواصّ تسربل ادما على النحر . وغمس فى لجة البحر . فاستخرج صدفة لم تترك من مهجته الا ودقة فلما وضعها فى كف التاجر فضها عن هناة غير معجبة . ليست باللؤلؤة ولا بالمخشلبة . وسوف يجد منى ان شاء الله من يُلْبِسه ولا يلبسه .

وبذل له ما يُحسنه . فان قنع فعلّه كاف . وان طلب غيره فالطالب مواتٍ . فاما انا فامكنه مما اعلم . ولا يلحقه فى الطلب الم . ليكون مثله مثل واجد محارة بالسيف . ان وجد فيها ثميناً اخذه . وان صادف ٢٦ سوى ذلك نبذه . واذا اضيفت منزلته الى كلف سيدى بمساعدته فل عاد الهديل الى ذوات القلائد . ما فرحن بالفقيد العائد . الا دون فرحى

بقدومه والهدية المنقولة عنى الى حضرة سيدى اجلها الله
والجماعة دامت لها الحراسة ببقائه سلام يشرق
زكيُه . ويتضوع تضوع المسك ذكيّه . كلما
ابدى الافق شمسا . وخلّف
يومٌ امسا . وحسبى
الله ونعم المعين

١٨

وكتب الى خاله فى شان عجوز كانت تخدمه فاستدعاها الى حلب لضبط منزله فاعتل اخوها فارادت الخروج اليه ولحقت ابا العلاء علة فاظهرت ان خروجها اليه وانه محتاج اليها

بسم الله الرحمن الرحيم ما شوقى الى سيدى اطال الله بقاءه بناقص عن شوق شارف من الابل . نشات بواد متربّل . اخضر ذوائب السلمْ . تامن سائمتهُ من الحلمْ . فلما صارت مخلفة عام او عامين . وعدت المفارقة من المين . صبّحتها الخيل مغيره . فاخذت الكبيرة وتركت الصغيره . فاتت بها من نجد عراقًا . فهى تراقب عارضاً براقًا . لها بين النعم سجر . كلما دمس 78 ظلام او طلع فجر . وليس هذا الكتاب لصفة شوق . انما هو لذكر قَدَر من فوق . كانت سُكينة هذه الجانية تمهّن لمعتذرَ بالمعره . فتصيب التافه من الاجره . وبجى وقت الثمره . فتجنى عنقود العنب من السمره . فخُلجت منها معتذر . ومن مامنه يؤتى الحذر . فلها فى ان ترجع غرض . ثم لا تحفل بمن حل مرض . ولن أُخْليها ان شاء الله من بر . والله العالم بكل سِر . وسوف يتقدم اليها من جرت عادته بكلامها ان تشتغل عن الفضول بالمردن . فانه اصح للعمل والبدن . وحيوته الكريمة علىّ لو ان بى حمّى زيد الخيل . او غُدة عامر بن الطفيل . لما رايت ان استصرخ بالشوابّ من ذوات البرين . فكيف بعجوز فى الغابرين . واى شى ابقى فى تلك المراة رفق الله بها لقد كنت

هممت ان اجى بنائب عنها فى اخراج سُعد للحمّام وبدر . وادقاد النار
ومراعاة القِدر . لما كنت احدّثه عنها من انحناء الظهر . وما وسمها به مر
الدهر . لا قوة لها فى الجسم . تعجز عن تادية كلمة او اسم . وقد علم ادام الله
تمكينه انه انما استدعاها لنظر بالعين . وحفظٍ من عادية يدبن . وانما 79
ذكرها المنتسب اليها ذكر سامة بنى لوى . ومالك بن الريب من فارق من
الحى . وانا اسال ادام الله عزه بل اقسم عليه الا يقفها على كتابى هذا لئلا
يدركها ما يدرك الآدميين اذا سمعوا فى انفسهم مثل ذلك ولو قدرت لحملت
الى منزله ام عمرو الملك بسمطيها . او مارية الغسانية بقرطيها . ليكونا فى
داره خادمتين . وحسبه بشرف هاتين . فاما انا بحمد الله فلست بمريض
فلعلهنّ اوتين شيا من علم الغيوب . فاخبرن عن المرض فى نعوذ بالله منه
ومن جميع الموبقات . فيما سلف وغبر من الآفات . وقد اعتللت عللاً
كثيرة . لم تكن الخدام لدىّ اثيرة . غير هذه العلة فانى خُدمت فيها خدمة
لو خدمها الصافر بازيا لحلف انه لا يقتنص فرفورا . او الظبى السرحان لما روع
ابدا يعفوراً . وهذا العارض بالعافية فان . ولو شئت لاكلت لحم العتْرُفان .
ولكن امسك عنه امساك من يوثر صحة ساعة بلذ عام . على قضاء وطر من
الطعام . ولا يسمح لسانى بتسميتها علة . ولا اعد افاقتى منها بلة . انما هو 80
سبب كان دواؤه تسريح دم . مقدار مائة درهم . ولكن المتطبب منع من ذلك
فى اليوم الرابع . وكان التوفيق فى اطلاق الجون المحتبس ولو بعد السابع .
وعندى من خبر سيدى ابى طاهر ما انا به مسرور آنس . والله يشفعه من
الاخبار الطيبة بما هو له مجانس . وانا اهدى الى حضرته اجلها
الله والى جميع اصدقائه وخدامه سلاما اطيب من الزهر
فى الربّا . وابقى فى العالم من
الثريا . وحسبى الله

١٩

وكتب الى ابى منصور خازن دار العلم ببغداد

بسم الله الرحمن الرحيم لقد طربت من اللوعة لا من الجَذَلْ . حتى قال اخو
العَذَلْ . امن جهل ام حلم . طربك الى دار العلم .

فوالله ما ادرى اذا ما ذكرتها • اثنتين صليت الضحى ام ثمانيا

فاطال الله بقاء سيدى الشيخ ما سرح بنهار فُرى . واسرى فى الظلام سرى .
81 شوقى اليه·ادام الله عزه والى الجماعة شوق حمامة مطوّقة . كانت تتشوق
وليست بمشوّقة . بل لها فى مكة محل عال . لا تصل اليه ايدى الجهال .
فلما حل لها القدر بقضاء مبرم . ابرزها من ارض الحرم . فمنيت بوليد
عارم . لا يحفل بتوقى المحارم . فاعنت جناحها بفهر . فشغلها عن الولد والصِهْر .
وحبسها فى سجن للحمائم وثيق . ليس الساكن له بالطليق . فهى ترتاح لضياء
الفجر . ويزيد وجدها عند الهجر . اذا رأت طائر الهواء متصرفا . كاد قلبها
يطير اسفا . ما جرى لها الفراق فى فكر . حتى خلجتها النُوَب من الوكر .

لها فرخان قد تركا بقفرٍ • فوكرهما تمزقه الرياحُ
اذا سمعا هبوب الريح نصّا • وقد اودى بها القدر المتاحُ

كلما قال الغراب غاق . قلتُ وارد من اهل العراق . فقد امللت راكب السير .
والناعب من الطير . فلا الناعب يجيب سائلا . واجد الراكب بما التمس
جاهلا . فانا كضبّة بن ادّ كلما رُفع له شخص من عمرو او زيد . سال عن
سعد وسُعَيد . فاذا وضح شخص من بعد . وُجد لا سعيد ولا سعد . ولو ورد
82 خبير بالامر . لقلت مقالة اخت عمرو . ريح عطر . فى ثوب من قِطْر . والى

الله الكريم ارغب فى اجتماع شمل كاجتماع الفراقد . ليس من يُسّر له بفاقد . ولو لم يكن للزمن علىّ قيد . ما حجزنى عنه السير الرويد . ولكن انا اخيذ المحتبل . كانى المعتمد بقول صاحب الابل .

كهداهد كسر الرماة جناحه • فدعا بقارعة الطريق هديلا

وكتبى كانت فيما سلف الى مدينة السلام كاوالف التمرادْ . بكرن للإبراد . بعضهن فى إثْر بعض . يطلبن رزق ربهن فى الارض . فلم يُقرأ لهن جواب . كانما خطِئهن الصواب . فهن كأظبى الناصفة حُبلن . وبداغيات الرَشَد خبلن . اما انا فعلىّ الجهد . ولا معتبة ان وقع فىّ زهد . وقد كنت نظمت الى سيدى الشيخ ادام الله تمكينه كلمة وزنها الطويل الاول ورويّها الشديد المطبق ولوازمها حرفان وحركة وقافيتها مطلقة . فالصلة برويها معلقة . فما ادرى اولعها والع . ام سدت عليها المطالع . والله المستعان على ما تصفون

تخيرت من نعمان عُود اراكة • لهند ولكن من يبلّغه هندا

ولو لا انه من الابرام . فرط الاكرام . والتكرير يُحسب من التعزير . لاعدت S3
ارسالها على يد حامل هذا الكتاب لانى توسمت فيه مجانبة الخانه . واداء الامانه . وانا اهدى الى حضرته سلاما اذا مر برئيمة . العفر . جعلها كعتيرة . الاذفر . واذا قارب التفل فكانّما عُطّر . والروض الظامى فكانما مُطر . وان كلفنى بعض الحاج . فانا باوامره شديد الابتهاج . وحسبى الله وحده

٢٠

وكتب الى ابى الحسن على بن عبد المنعم بن سنان جوابا عن كتابه فى امر ابى الحسن محمد بن سعيد ابن سنان

بسم الله الرحمن الرحيم شوقى الى مولاى الشيخ مناسب طول الدهر . لا
ينفد بسنة وشهر . وكلما ذهب زمان صادف . اعقبه من الازمنة رادف . والله
اسأل اجتماعا . لا يدع لتفرق اطماعا . يكون فى الالفة شبيه الثريّا . وكالروضة
المولية فى طيب الريا . ووصل كتابه الذى هو سجلّ المسرة . وان ضمن ما
لا يؤثره اهل المعرة . فنشِيتُ عنبراً هنديًا . ونوراً مُطر نجدياً . فغم بالنشر
انوفا . واودع المسامع شنوفا . واجبت عنه يوم الاحد . لعشرين ليلة خلت 84
من شعبان فى التسمية الخالفة . وعاذل فى السالفة . اوفد الله عليه الاهلّة
مبشرات . بسعود ما هن بمقصرات . فاما سيدى الشيخ ابو الحسن ابن عمه
جمّل الله ببقائه فليس لى به يدان . قد صار صارمى مثل الددان . وما امنع
برجل قد تمرّس . وتفرّس . لجهاد كافر عنيد . وتفقه وتفرأ لجهاد شيطان
مريد . ففد جمع حرب الجن الى حرب الانس . والله يظفره بكل جنس . وليس
لى عنده سالف يد توجب ان اعزم . فيلتزم . وقد عرّضت . بالنصيحة
وحرضت . وذكرت له فضل الاجر . ودعوته الى غير الهجر . فانصرفت بما قال
جل اسمه وما دعاء الكافرين الا فى ضلال خلتُنى اهمِس لنعامه . واطلب على
الهضبة مسير العامه . فاما القاضى ابو جعفر . فهو بالعظة مخير . غير انه

لا يُجير. وانما تُمد النُصرة بلا قصر. فى حصرة اميرنا ابى نصر. فان وصلت
المكاتبة اليه. وقع تعويلنا فى النُجح عليه. وقد رزقت هذه البلدة من
سيدى الشيخ ابى الحسن اسبغ الله النعمة به حظ يثرب من النبى. والارض 85
المقفرة من الاعرابى. ولا عجب لحوادث الايام اليس ربنا بحكم الشرع. اسكن
نبيه فى وادٍ غير ذى زرع. وقد راينا الرجل ذا القدر النبيه يكون عنده كرائم
النساء فيختار عليهن امية ذات بجاد. ملكها عن بعض الاسجاد. وقد
نشاهد المرء جده لابيه ازهر علوى. وجده لامه اسْود غوْى. ولاجل هذه العلة
ولد عنترة كالغُداف. وجاءت ندبةُ بخُفاف. ولولا القاضى ابو جعفر. لكان
مثله بقدوم هذه الناحية مثل النسر. الذى هو من ملوك الطير وعظمائها
تتصل من اوصاله رائحة المسك يهبط على نبيله. جدٍّ وَبيله. وهذه
جمل من صفة المعرة هى ضد ما قال الله عز وجل مثل الجنة التى وعد المتقون
فيها انهار من ماءٍ غير آسن الآية اسمها طِيَرَة. وعند الله ترجى الخيره.
المورد بها محتبس. وظاهر ترابها فى الصيف يَبَس. ليس لها ماء جار. ولا
تغرس بها غرائب الاشجار. واذا ابرز لاهلها ذِبح. يؤمّل به لديهم الربح.
تعصبه صُبغ بخِطر. فكانما يرمق به هلال الفطر. وقد يجيُّها وقت يكون 86
فيها جدى المعز فى العزة كجدى الفرقد. ومثل حمل الكواكب حمل النَقدْ.
ويبكر فقيرها على الهدايه. قبل ابى الفرخين ابن دايه. حتى يقف ببائع
الرِسل فكانما وقف برضوان. يستوهبه ماء الحيوان. فان سبقه ضياء الفجر
فانه يرجع خائبا. ولا يجد سهمه صائبا. فما الظن بمحلة لا تسمع بدر
المخزاب. لو نزلها ابن حنزابة لما قدر على الحنزاب. نابت طاب مجاجُه.
وهاتف نشر دوّاجُه. اما النابت فاذا نُبذ عند غيرنا بالعِبْر. حُسب هاهنا
سبائك التبر. واما الصائح فاذا طُلب لعليل. عدم كعدم الخليل. وترائك
المنقضات. كنفائس الدر المعترضات. بلى والخالق حميد عندنا فى الشتاء
فواكه مكانها اريض. كانها الغوانى البيض. استحيين ان يرين عاريات.
فظللن بالعفر متواريات. نشان فى طل ورِداض. وزِدْن على بنات قيصر فى
نقاء البياض. كانهن فى المنظر نهود. وذوائبهن خضر لا سود. يظهرن اذا

87 السماك طلع . الى ان يبدُوَ سعد بُلَع . ويبقين بعد ذلك الى طلوع الفرغ المقدّم . وآكلهن حِلف الندم . لا آكلهن ابداً . ولا آمر باكلهن احداً . قد افصحت بالامر ونصحت . ولو قبل سيدى الشيخ ابو الحسن نصح المشفق لم يطل به عن زيارة حلب انقطاع . ولكن لا راى لمن لا يطاع . وانا وفلان وفلان نهدى الى حضرة الشيخ الجليل والده عضد الله الجماعة ببقائه سلام ذى الرمة على مىّ . والحادرة على سُمّى . ونسالهما الاسعاف بمناجاة . تشتمل على ما يعرض من الحاجات . ان شاء الله

وحسبى الله وحده

٢١

وكتب الى ابى القسم المغربى جوابا عن فصل كتبه اليه

كلما هم خبرى بالهمود . واشرفت نارى على الخمود . نعشتنى الله بسلام يرد من حضرته بجعل اثرى كالروضة الحزنيه . والبارقة المزنيه . ولو كنت عن نفسى راضيا لشرّفتها بزيارة حضرته ولكنى عنها غير راض . وما اقربنى الى انقراض . وانما انا قصيص التمراد . ومتخلف المراد . قد عُددت فى اناس قيل فيهم تلك امة قد خلت لها ما كسبت
88 ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون . وان نعمت او شقيتُ . فدعائى يتصل بحضرته ما بقيت

٢٢

ومن كلامه جواب لابى منصور محمد بن سبكتكين

ما شغلنى عن الشيخ ذهول . بل خلدى بتذكّره مأهول . واذا كانت الضمائر مؤتلفه . لم يضرها ان تكون الديار مختلفه . وما زال شوقى اليه كهلاً فى القوة طفلاً فى النماء والزياده . والى الله الكريم ارغب فى هبة ألفة لا فرقة بعدها تعجز الايام ان تكدرها او تقطعها . وفهمت ما ذكره من امر المكارى والله ينتقم من كل مُكار شرّير . ولو بلغت هذه الدعوة مكارى جرير . اعنى قوله • تُبارى الاخنسىّ المكاريا • يريد الظل وغمّنى ما تجشّمه من ركوب البحر كانه لم يقرا فى نوادر ابن الاعرابى قول يحيى بن طالب الحنفىّ

اذا رحلت نحو اليمامة رفقة • دعاك الهوى واهتاج قلبك للذكرِ
لَشُربك بالانقاء رنقا وصافيا • اكفّ واعفى من ركوبك للبحرِ

ودمشق عروس الشام الموموقه . وواسطة عقدها المرموقه . وارجو ان يكون قد انساه جامعها جامع المدينة وسلاه ماؤها عن ماء دجلة وقد كنت عرّفته ان من رحل عن بغداذ لم يجد منها عوضا . وان وجد محلا مروّضا . لان غابر 89 العلم بها غريض . وصحيح الادب فى سواها مريض . والشام اكثر أرفاقاً . واقلّ نفاقاً .

تلقى بكل بلاد ان حللت بها • اهلا باهل وجيرانا بجيرانِ

واما ما ذكره من تشاغله بالنسخ فهو كما قال الاعشى

وكاس شربت على لذة • واخرى تداويت منها بها

لو كان قلمه حاتما فى الجود لامسك . او عمراً فى الشجاعة لمل مما فتك . وقد كنت رجوت ان يتفق له عصابة كالعصابة من غسّان . التى غبر فيها قول حسان .

لله در عصابة نادمتهم • يوما بجِلِّق فى الطراز الاوّل

ومن فعل مع الشيخ جميلا فبنفسه بدا . وحقها المفترض عليه ادّى . وانا اهدى اليه سلاما يفضحك ابلجه . ويتضوّع متارجّه . وحسبى الله

٢٣

ومن كلامه الى بعض الشعراء

لا اعدم الله الشعراء ارشادك . ولا الملوك انشادك . فطالما غُذيتَ من الادب هو باخلاف . وحدوت فى اثار قواف . فلو كان للقريض ولد لكنْتَه . ولو سكن بيت الشعر احد لسكنته . وشوقى اليك شوق الاعرابية الى الثُمام . والحمامة الى الهديل المفتقَد من الحمام . وقد بلغتنى ابياتك والذى بينى وبينك لا يمرض فيفتقرَ الى تمريض . ولا يخاف انقراضه فيُجدّد بنظام القريض . واحسبك ان استطعت فما تحضر القيامة الا بابيات حسان . تتقرب بها الى خزنة الجنان . وقد حدثنى الثقة انك رغبت فى النُسُك . وغدوت بحبل الثقة شديد التمسّك . واصبحت كما قال اعشى بكر

فان اخاك الذى تعلمين • ليالينا اذ نحُلّ الجفارا
تبدّل بعد الصِبى حكمة • وقنّعه الشيب منه خمارا

وسيدى فلان لو قدر ان يجعل هذه الدراهم فى وردك من عنده لجعلها . او ان يبدلها دنانير لبدلها . وانا اخصّك بسلام يلقاك بانوار مضيه . وتحية روضيه . واستودعك الله

٢٤

ومن كلامه فصل كتبه الى ابى نصر صدقة بن يوسف الفلّاحىّ لما استدعاه الى حضرة الامير عزيز الدولة دام عزه

لو اهديت الى حضرة سيدى الربيع يُزهى باحسن زهره . والبحر يتباهى ٩١
بالنفيس من جوهره . لكان عندى انى قد قصّرت . واختصرت . فكيف بى ولا اقدر ان اهدى زهره . ولا انتزع صدفة فدع الجوهره . والرائد لا يكذب اهله . فاما العبد اذا كذب سيده فبَعِد . ولا سعد . والذاهل من لم يذكر اسمه . والجاهل من لا يعرف نفسه . ولنفسى الخائنة اقول اعييتنى بأُشُر . فكيف بدردر . اعيت رياضة الهرم . واعتصار الماء من الجمر المضطرم . ان كذبت . فعن الخير اعْذبتُ . ما اعتزلت . حتى جددت وهزلت . فوجدتنى لا اصلح لجد ولا هزل . فعندها رضيت بالازْل . ما حمامة ذات طوق . يضرب بها المثل فى الشوق . كانت فى وكر مصون . بين الشجر والغصون . تالف من ابناء جنسها رِيداً . فيتراسلان تغريداً . مسكنها نعمان الاراك . تامن به غوائل الاشراك . وتمرّ فى بكرتها بالبيت الحرام . لا تفرق لمكان صائد ولا رام . فغرّها القدر . اذ لم ينفع الحذر . فخرجت من الارض المحرّمه . فاصبحت وهى جِدّ مغرمه . صادها وليد فى الحِلّ . ما حفظ لها من اِلّ . واودعها سجنا للطير . ومنعها من كل ٩٢
مير . فاذا رأت من خصاص القفص بواكر الحمام . ظلّت تمارس جُرَع الحِمام . تسال بطرفها اخاها . ما فعل بعدها فرخاها . فيقول اصبحا ضائعين . قد سترهما الوَرَق عن كل عين .

فريخان ينضاعان فى الفجر كلما • احسا دوىّ الريح او صوت ناعبِ

باشوق الى العيشة النضرة . متى الى تلك الخضرة . ولكن صنع الزمن ما هو
صانع . واعترض دون الخير المانع . حال الغصص . دون القصص . والجريض .
دون القريض . المورد نمير ازرق . ولكن المدنف بالشراب يشرق .

لما راى لُبَدُ النسور تطايرت • رفع القوادم كالفقير الاعزلِ

اِنْهضْ لبد . هيهات صدّك الابد . ولما كان اليوم الذى ورد فيه كتابه المشتمل
من حسن الظنّ بوليّه على ما لا يستوجبه عكفت علىّ الغربان مبشّرات .
مثلّثات للنعيب ومعشّرات . لو انس الىّ ابن داية لم أُخْلِه ان رغب فى الحلىّ
من حِجل . فى الرجل . او تقليد . يقع بالجيد . ولفتّخت جناحه مسكًا
وعنبراً . ولكسوته وشيا وحِبرا . على انه يختال من لون الشبيبه . فى اجمل
93 سبيبه . يا غراب . لغيرك بعدها التراب . ان قضى الله نبذت الك ما تؤثر من
الطعام . اتاوة علىّ فى كل يوم لا فى كل عام . كان كتابه الشريف قسيمة
من الطيب . تضوع بالاناب القطيب . فكانّما طرقتنى منه روضة نجديه .
سقتها الانواء الاسديه . فعمِد ثراها . وارجتْ رِباها . وابدى بهارها للابصار .
كدنانير ضُربت قِصار . وازدانت من الشقيق . بمشبه العقيق . ولعب فيها
الماء . فهى ارض وكانها سماء . لها من النجم نجوم . ومن طل الشجر دمع
مسجوم . وقد سالت من ورد اليه ان يونسنى بتركه لدىّ كى استمتع فى
ناجر . بمشاكل خبيّة الحاجر . ولاكون جليس الروضة ان لم بر لها منظرا
مبهجا . ساف منها عرفا متارّجا . وان العامة عهدتنى فى صدر العمر
استصحب شيئاً من اساطير الاولين فقالت عالم . والناطق بذلك هو الظالم .
وراتنى مضطرّا الى القناعة فقالت زاهد . وانا فى طلب الدنيا جاهد . وزاد
تقوُّل القوم علىّ حتى خشيت ان اكون احد الجهال الذين ورد فيهم الحديث الماثور
94 ان الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الناس ولكن يقبض العلم بموت
العلماء حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس روساء جهّالا فسُئلوا فافتوا بغير
علم فضلّوا واضلّوا . فغدوت حلس ربع . كالميت بعد ثلاث او سبع . وحدثت
علة كُنى عنها فى المستمع . وعاقت عن الحضور فى الجُمع . وفى الكتاب الكريم يا
ايها الذين آمنوا اذا نودى للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وانما ذكرت

ذلك لينتهى الى حضرة السيد عزيز الدولة اعز الله نصره انى تخلفت عن خدمته بمرض . منع اداء المفترض . وان الذكر ليطير . للرجل وغيره الخطير . كم من شجرة شاكة ظلُّها ليس برَحْب . وثمرها غير عذب . اسمها السمرة وكنيتها ام غيلان تذكر فى افاق البلاد وغيرها من اشجار . الثمار . ان ذُكر . نُكر . والإرماء . لا توجبه للشئ الاسماء . رب اسود كريه الرائحة يسمّى كافوراً او عنبراً . وقبيح الصورة من البشر يدعى هلالاً او قمراً . وكيف يتادى العلم الىّ وانا رجل ضرير . وكفى من شرّ سماعُه . ونشات فى بلد لا عالم فيه . وانما تشبث الناميةُ بالجوازع ولم اكن صاحب ثروة فكيف الحداء بغير بعير . والانباض مع 95
فقد التوتير . فان بلغ سيدى الشيخ ان سارى الليل . قبض على سهيل . وان الارض البتت وشياً وحريراً . والسحاب امطر مُداماً وعبيراً . فهو اعلم بردّه على المبطلين . حسب الارض . ان تعنو بخُلة وحَمْض . وعادة السحاب المرتفع فى السماء . ان ياتى برىّ الظماء . والدُلج . بُلّغت الى البُلجه . لهفى على فوات هذه المنزلة ومن للورقاء . بكوكب الخرقاء . والراقد عند الغرقد . ان يضحى مجاور الفرقد . من لا يصلح لمجالسة النظراء . فكيف ينتدب للقاء السادات الكبراء .

لقد اسمعت لو ناديت حياً • ولكن لا حيوة لمن تُنادى

هل آمل من الله ثوابا . وانما انا كقتلى بدر اسمع ولا املك جوابا . ولمثل هذه الرتبة سهر من اهل العلم الساهرون اعرض النوفلُ وغاب العائم . واومض البارق فاين الشائم . ان الحى خلوف يا ليتنى كنت معهم فافوز فوزاً عظيماً . 96
والسيد عزيز الدولة اعز الله نصره يعين الكسير بالجبر . فكيف يامر باخراج ميت من قبر . ولو كنت بارئاً من هذه العلة لخشيت ان افضح . فافتضح . لانى ما أنصِفت . اذ وُصِفت . والسيد عزيز الدولة ليس كغيره من الملوك والسادات . لانه يوصف بفارس من جهات . فهو فارس للاقران من فرس الاسد . فارس على الجواد العتد . فارس من فراسة الالمعىّ . سالم من الخطل والعىّ . والانسان يستحيى من نظيره . فكيف من سيد العصر واميره . يا فضحة فتاة قبل انها بيضاء . كانها من النعمة ما تضمنته الإضاء . حليمة رزان . تزين المجلس ولا تُزان . حوراء غيداء . فلما كان الهداء . وجدت على

خلاف ذلك فاذا بياضها سواد رائع . والنعمة جفاء فى الجسد زائع . والحَوَر زَرَق متباين . والغَيَد وَقَص شائن . واذا هى سفيهة رواد . لا يشعف بودها الفؤاد . والمثل السائر ان تسمع بالمعيدى خير من ان تراه . ولست ارضى لحضرة مولاى الشيخ بتحية نصيب لانه رضى بعشر تحيات فى الصباح . وعشر عند الرواح . ووليّه يحمل الى حضرته الجليلة تحية شاكر طروب . تصل

شروق الشمس بالغروب . وتكرّ مع طلوع الشفق . الى

حين تمزّق ثياب الغسق . كلما اجتازت

بالصعيد الاعفر . جعلته

كالهندى الاذفر

٢٥

وكتب الى القاضى ابى الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر ومقامه ببغداد ولم يكمل الكتاب فيوصل اليه

بسم الله الرحمن الرحيم كتابى اطال الله بقاء سيدى القاضى شافى العىّ . وخليفة الشافعىّ . ما جاز خيار مجلس . ووجب حجر على مفلس . وادام الله تمكينه ما لهجت النحاة بعمرو وزيد . وسدك التصغير برويد . من المستقر فى البلدة المضافة الى النعمٰن . لتسع خلون من شهر رمضان . جعل الله شهوره بالاقبال مشهرة . والارض بدوام ايامه مشرقة مطهرة . وخبرى فى الائتناف . لقب للجزء السالم من الزحاف . ولسانى بشكره كثير الحركة فى كل اوان . كانه الكامل من الاوزان . والحمد لله ما افتقر الى عقد بيع . ونشأ لاسد شيع . وصلى الله على محمد وعترته حتى يستغنى فرض الحج عن الطواف .

وقريض الشعر عن القواف . وشوقى الى حضرته الجليلة شوق حمامه . اسرت 98
باليمامه . صيدت في يوم دجن . فوقعت من القفص فى سجن . الى اوطانها النجديه . غير المفتكّة ولا المفديه . فارقت الاخدان فما رجعت . فكلما لمع صبح سجعت . والى الله الكريم ارغب فى تسهيل الهجرة الى فنائه السعيد على امون مقلات . كانّ عينها بعض القلاتْ . مجفرة الاضلاع . كانها عقاب ملاع . او اخرى طُليت بالقار من غير داء . ولم تخط على وجه البيداء . لا تحفل بفقد مرعى . ولا تعرف خِمسا ولا ربعا . وكيف تفرق من الاظماء . وانما تخد فى الماء . وأعلمُ سيدى القاضى اننى اودّه ود افتراض . غير محدود المدة وهو كالقراض . اثبت عليه ثبات المومن على الايمان . واتشرّف به تشرّف سلك بجمان . وفى هذا اليوم وهو يوم كذا ورد وليه الشيخ ابو سعيد الخوارزمى سلّمه الله قاصداً بيت الله الحرام بلغه الله مآربه . وكفاه شر الزمن ونوائبه . فخبّرنى من سلامة سيدى القاضى جمل الله الدنيا ببقائه ما يبتهج به كل مسلم . عالم فى الارض ومتعلم . ورايته مثقّلا من اياديه . ما له غير صفته من فكر ولا بديه .
وعرّفنى ان كتابه كان معه حلّاه بنان سيدى القاضى ورصّعه وان البادية ظفرت 99
به . فاخذته فى جملة كتبه . فقاتلهم الله أحَسبوا سطوره عقودا . ام ظنوا

فرائد لفظه لؤلؤا منضوداً . ام نفحتهم من تلقائه رائحة ذكيه .

عنبرية او مسكيه . فتوهموه تمثال طيب . مُمثّل

من الهندى القطيب . لو عرفوه . لاجلوه

وشرّفوه . ولو كانت الفصاحة

فيهم باقيه . لجعلوا

عليه جنة واقيه

٢٦

وكتب فى جملة الجواب الذى ذكر السؤال عنه عُرام

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على محمد وعترته الطيبين . لله درك ابا السابع من القداح انفعها لبرم . واغناها عن ذى كرم . لك مثل الخير . لا مَثَل عديّ وبُجَير . من غدا بفرع ضال . فقد بعُد عهدى بالنضال . الم يبلغك ادام الله عزك انى دفعت الادب الى جانب كُليب . وعقدته باذن الضُبَيب . فاخذ وادى العُنصُلين . واقتسم بين مُنصُلين . وفارقته فراق الوكرى الزان . والبكرى اخت هزّان .

100 محياك وُدّ من هداك لفتية • وشعث باعلى ذى طوالة مُجّد
تيممننا من بعد ما نام ظالع الـ… • كلاب واخبى ناره كل مُوقِد

لو سالت اطال الله بقاك عن هذه الاشياء احد الشرخ . لوجدت سقطا فى المرخ . والكلام عليها غُبْر قد جهد وخَلْف طالما افن . وقد ملّت بنت الانور ومليخ الحُوار . وقبيح بالمذكية ان تقاس بالمهار . ولغير تلك الغاية ضُمّرت بذوة وجرت القطيب . ومن النجابة . ترك الاجابة . لان الكلمة اذا لم تكن صوابا . كانت السكتة لها جوابا . فان أُجبتُ فمُكره اخوك لا بطل وانا اذا كمن ركب ظهر وهم . فلقى غاديا من سَهْم . فساله عن الطائف ونياطل الخمر . وابن بُجرةَ وحبيب بن عمرو . ورب كلمة تقول دعنى والله المستعان على ما تصفون . المعترض بهذه المقالة محرّق بنار الحسد . والحاسد مسهِبٌ . والمسهب كحاطب الليل . وحاطب الليل غير آمن اخذ الآصَلّة . وآخذها نجىّ المنيّة .

ونجيّها كأمس الدابر . ليعلم الكاشف عن الحقيقة ان الاجوبة ثلاثة مكنى
ومصرّح وثالث لا يقدر عليه الادميون وان المعترضين على القالة ثلاثة ١٥١

مُرشد ومتسرّق ومُعْنِت وان الشعراء ثلاثة مصيب ومخطئ
ومضطرّ وان الضرورات ثلاثة مقيسة ومسموعة
وشاذّة عن القياس والسمع

٢٧

وكتب من جواب عن كتاب رجل يعرف بابى الحسين احمد بن عثمن النكتى البصرى

الطرب مُؤْتاب . والخيال مُنْتاب . والشوق فى الصدور واقع . وان اضحت الديار بلاقع . ما هذا الزور الطارق . الذى ومض كانه بارق . يذكر امما خاليه . كانت بالادب حاليه .

أنّى اهتديت لتسليم على دمن • بالغَمْر غيّرهن الاعصُر الأُوَل

فمرحبا بكتاب الشيخ اطال الله بقاءه ما ائتلف متحرك وساكن . واختلفت الازمنة والاماكن . على انه كما قال الله جل اسمه وادّكر بعد أُمّة انا انبئكم بتاويله فارسلون لقد بَهَر بنَشير ونَظيم . فسبحان ربه العظيم . يزيد فى الخلق ما يشاء ان الله على كل شى قدير أسيّدى الشيخ جرير فهو انسب الناس . ام الفرزدق فالسلام عليه ان كان ابا فراس . لقد هاجت لى الفاظه ما هاجت لَخَطْبَاء . لُحميد . والصَهْباء . لابى زبيد . فليت شعرى من يقول ١٥٢ المنظوم فى خاطره اجِنّىّ مَرَدْ . ام ملك بالعبادة تفردْ . قد حرت فى ذلك

خَلَدَه . أهول بالقران فلا يسلك عفريت فى صدره . والملائكة لا تَنطق بمثل شعره . ولا نعلم احدا روى شعراً عن الملائكة فاما الجن فقد ورد عنها ما يعلمه منه ان كثيراً من اصحاب الحديث روَوا ان الجن ناحت على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقالت

قضيت اموراً ثم خلّفت بعدها • بوائج فى اكمامها لم تُفتَّقِ

فزعموا ان هذه الابيات سمعت قبل قتل عمر وهى فى الحماسة منسوبة الى الشمّاخ وقد ذكر رواية اصحاب الحديث ابن قُتيبة فى كتابه الموضوع لغريب حديث النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة وروى اصحاب السِيَر ان سعد بن عبادة مال الى سُباطة قوم فبال ثم مال ميّتًا وان الجن قالت

قتلنا سيّد الخزرَ • ج سعد بن عُبادهْ
رميناه بسهمين • فلم نُخطئ فؤادهْ

فى اشباهٍ لهذا لا تُحصى وله ادام الله عزه ان يحتجّ بقول النبى صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت لما امره باجابة شعراء قريش روح القدس معك فَلمُدّع ١٥٣
ان يقول حسان ومن جرى مجراه من قالة الحق تُعينهم الملائكة على ذلك لله سيدى الشيخ لقد نثر . فما عثر . وشَعَر . فكان فكره كاللهب لما استعر . ولو رجز . لما عجز . إذاً لقيل هو هميانْ . او الزفيّانْ . لقد اهدى الىّ رياضاً ارجه . لا تزال الالباب بربوعها معرّجه . من طويل فَرَع بوزنه . وكامل كمل فى حسنه . ووافر . يُجعل تعِلّة المسافر . كما قال الاول

بها تُنْقَض الأحْلاس والديك نائم • وتُعقد انساع المطىّ وتُطلق

ولا ينكر ادام الله عزه ما ذكرته من امر الجن فقد علم انه مشهور عند العرب ان لكل شاعر شيطانا يقول الشعر على لسانه ولا شك انه قد روى قول الراجز

انى وإن كنت صغير السنّ • وكان فى العين نبوٌّ عنّى
فإنّ شيطانى اميرُ الجن • يذهب بى فى الشعر كل فنّ

وقد زاد ادّعاؤهم لذلك حتى سمّوا الشياطين باسماء يعرفونها بينهم قال الاعشى

دعوت خليلى مسحلاً ودعوا له • جِهِنّامَ بُعْدا للغوىّ المُذمَّم

فزعموا ان مسحلا شيطان الاعشى وقد رووا اخبارا فى ذلك كثيرة لا شك انه قد ١٥٤

اطلع عليها وحدثنا صديقه ابو القسم المبارك بن عبد العزيز رحمه الله عن ابى عبد الله بن خالويه عن ابن دريد حديثا معناه ما اذكره وهو ان ابا بكر بن دريد ذكر لاصحابه انه راى فيما يرى النائم ان قائلا يقول لم لا تقول فى الخمر شيأ فقال وهل ترك ابو نواس مقالا فقال له انت اشعر منه حيث تقول

وحمراء قبل المزج صفراء بعده ◆ اتت بين ثوبى نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا ◆ عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

فقال له ابو بكر من انت فقال انا شيطانك وساله عن اسمه فقال ابو زاجية وخبره انه يسكن بالموصل وقد روى ان الجن تطول اعمارهم حتى ان الواحد منهم يكون قد لقى نوحا ويلقى النبى صلى الله عليه وسلم فان كان الشاعر منهم ينتقل من رجل الى رجل فيجوز ان يكون قد انتقل اليه ادام الله عزه صاحب النابغة او الكندى . فما ذلك ببديع ولا بدِىّ . وقد مرّ فى اسفاره بالموصل واغلب ظنّى ان ابا زاجية علق به . ورغب فى صحبته . لانّه ذكره بصاحبه الازدىّ ولا مرية فى انه قد اسلم ولولا ذلك لم برغب فى استصحاب رجل من اهل التفسير ١٠٥ لكتاب الله جل سلطانه عالم بلغة الرسول صلى الله عليه وسلم متظاهر بالصيانة وحسن المذهب مذ كان فى المهد . الى ان عمّ برَمَيْهِ ابى سعد . اوليس قد جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الإنسان لا يخلو من شيطان موكل به قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا ولكنى أُعِنْت عليه فاسلم وكيف لا يُسْلِم صاحبه ادام الله عزه وقد أملى فى تفسير سورة الاخلاص كتابا نسخته عند ابى بكر المؤدب ادام الله سلامته وانا أقسّم الامور فى كيفية نظامه للاوزان ايعرض افانين القريض . على ضروب الاعاريض . ام يقولها بغريزه . غير مؤتشبة النحيزه . فان كان يبنى البيت كما بناه اهل الجاهلية بطباع . لا يعرف مكان توجيه يُذكر ولا اشباع . فكيف نافى العِىّ . ولم يكفّ السُّباعىّ . وقد كفتْه فحول الشعراء اليس اكثر الرواة ينشد قول امرئُ القيس على الكفّ

الا رُبّ يوم لَكَ منهن صالح ◆ ولا سيما يوم بدارة جُلجل

وقوله

الا انما الدهْرُ ليال واعصر ◆ وليس على شى قويم بمستمر

106 وقول حاتم الطائى

اذا رحلا لم يَجِدا بيْتَ ليلة • ولم يلبسا الا بجاداً وخيعلا

وانشد ابن الاعرابى

إنّ ابا اربدَ حَسّان اصعدت • له ظُفُرٌ بالجوّ وهو مُقيم

وهبْه اجتنب الكَفّ ولم تبعثه اليه الشِيمة المركبة كما اجتنبه كثير من المتقدمين فلم يوجد فى اشعارهم فكيف سلم من القبض الذى هو للكف معاقب . ان ذلك لحِسّ ثاقب . فلما تسلم قصيدة جاهلية بُنِيت على الطويل من ان يستعمل فيها قبض السُباعى اما امرؤ القيس فكثير الاستعمال له واما النابغة وزهير واعشى قيس فيستعملون ذلك دون استعمال الملك الضِلّيل

قال النابغة

حسان الوجوه طَيّبٌ حُجَزَاتُهم • يُحيَّوْن بالريحان يوم السباسِبِ

وقال فيها

تراهن خلف القوم زُوراً عيونها • جُلُوس الشُيوخِ فى مُسُوك الأرانبِ

وقال الاعشى

اجِدّك لم تسمع وصاة محمّد • رسول الالهِ حين اوصى وأَشْهدا

وقال زهير

107 سعى بعدهم قوم لكى يدركوهُمُ • فلم يبلغوا وَلَمْ يُلَاموا ولم يَألُوا

وقد استعمل القبض جماعة من المحدثين كقول ابن اوس

كساك من الانوار ابيضُ ناصع • واحمر ساطِعٌ واصفر فاقعٌ

وقال الوليد

رايت العراقَ تَاكرتنى واقسمت • علىّ صروف الدهر أن اتشاءما

وكيف سلم من الخرم الذى اصطلح عليه السالف والخالف اليس قد علم ان احمد ابن الحسين كان شديد التفقّد لما ينطق به من الكلام يُغيّر الكلمة بعد ان تُروى عنه ويفرّ من الضرورة وان جذبه اليه الوزن وقد خرم ابو الطيب فى موضعين احدهما فى الطويل حيث قال

لا يحزن الله الامير واننى • سآخذ من حالاته بنصيب

والاخر فى الوافر

ان تك طَيِّىءٌ كانت لئاماً

وكيف لم يتّفق له ما اتفق لغيره من الشذوذ فى عروض الطويل اليس قد رووا قول النابغة

جزى الله عبسا عبس آل بغيض ◆ جزاء الكلاب العاويات وقد فَعَلْ

وانشد ابو زيد لعبد قيس بن خُفاف البُرْجُمى

اذا ما اتصلْتُ قلت يَالِ تميم ◆ وابن تميم من محلّة أَهْوَدَا

وقال عامر بن جوين 108

الظعان هند تلكم المتحمّله ◆ لتحزن قلبى خُلّتى المتبذله
الم تر كم بالجزع من مَلِكات ◆ وكم بالصعيدِ من هجان مؤبّله

ولما عمد ادام الله عزه لبناء الوافر والكامل حاد به كرم السوس عن شناعة الوافر بعَقْلٍ او نقْص . وبرّأ الكامل من الخزل والوَقْص . على ان العقل مفقود فى شعر العرب زعم سعيد بن مسعدة انه لم يسمعه وقد جاء ببيت لزهير وبعضهم يرويه لابنه كعب ويجوز ان يكون معقولاً وهو قوله

وكَفِّى عن اذى الجيران نفسى ◆ وحفظى الوُدّ للأَخِ المُدانى

فهذا ان روى بتخفيف الخاء من الاخ فهو معقول وقد زعم ابن الكلبى ان من العرب من يقول اخّ بالتشديد فيجوز ان يكون قائل البيت بناه على هذه اللغة واذا كان مشدّدا فلا عقل فيه واما النقص فقليل كقلة العقل الا انه قد جاء بيتان يحملان عليه ولهما وجه غيره احدهما يروى لسراقة البارقى وبعضهم يرويه لعبيد الله بن قيس الرُقيّات وذلك ان المختار بن ابى عُبَيْد أَسَرَ قائل البيت وكان الشاعر قد عرف تمويه المختار وكذبه فحدث فى العسكر انه راى قوما على 109 خيل بُلْق يقاتلون مع اصحاب المختار وذكر انهم هم الذين اسروه وانه لم يرهم بعد ذلك يوهم الناس انهم من الملائكة فنفق ذلك على المختار واعجبه فامر باطلاقه فلما لحق بالمأمن قال

الا ابلغ ابا اسحق انى ◆ رايت البلق دهماً مُصْمتات
ارى عينىّ ما لم تَرَيَاهُ ◆ كلانا عارف بالتُّرَّهات

وكان المختار يُكنى ابا اسحق فانشد سعيد بن مسعدة تَرِياه بالتخفيف على انه منقوص وهو على ذلك يجيز ان يكون الشاعر قد همز فردّ ترى الى اصلها كما قال الآخر

ومن يَحْىَ فى الايام يَرَ ويسمعِ

والبيت الاخر الذى جاء فيه النقص هو للمغيرة بن حَبْناء

كأنّ سماحق الغِرْقِىُّ فيها • ملاحف شَبّها وَرْسٌ مَذُوف

فالمعروف الغِرقِىُّ كما قال اوس بن حجر

فمن لك باللِيط الذى تحت قشرها • كغِرقِىُّ بيض كَنّه القَيْضُ من علِ

فإن حُمِل بيت المغيرة على هذا فهو منقوص وقد يجوز ان تزاد فيه ياء للضرورة كما زيدت فى التوابيل والسواعيد قال التغلبىّ

١١٥ وسَوَاعِيدَ يُختلَيْن اختلاءً • كالمغالى يَطِرْنَ كل مطير

واذا توخيت قول الحقّ لم يكن لسيدى جمّل الله به كبير فضيلة فى اجتنابه هذين النوعين من الزحاف كما لم يُحمد على تركهما عمرو بن كلثوم فى قوله

الا هُبّى بصَحْنِكِ فاصبحينا

ولا النابغة فى قوله

اتاركة تدلّلها قطامِ

ولا ابو ذؤيب فى قوله

جمالك ايها القلب القريح

ولا ذو الرمة فى قوله

احَايِرة دموعك دارُ مَىّ • وهائجة صبابتك الرسوم

ولا غيرهم من المتقدّمين والمحدثين وانما قلت ذلك ليعلم انى لم أُناجِهِ بخطاب صدر عن صدر مريض . كما جرت العادة بذلك من العامّة لقالة القريض . وقد قال صلى الله عليه وسلم ما انا من دَدٍ ولا دَدٌ منى وقال ابن احمر

ولا تقولن زهو ما تخبّرنا • لم يترك الشيب لى زهوا ولا العَوَرُ

الزهو ههنا الكذب ولكن الفضيلة انه لم يأت بالصنفين من الخَرْم اللذين

يعتريهما الشعراء فيخرمون الجزء السالم والمعصوب كما قال بعض الجاهلية بعد ان بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

لست بمسلم ما دمت حيّا • ولا قولى بقول المسلمينا

وقال هُدْبة ١١١

انى من قُضاعة من يكِدْها • اكِدْه وهى منى فى امان

واما الخرم فى المعقول فليس تركه بفضيلة اذ كانا مهجورين فى الجاهلية والاسلام وحاله ادام الله عزه فى ترك الخَزْل والوَقْص لما ركب اول الكامل وثانيه كحاله فى رفض المعقول والمنقوص على ان هذين فى الكامل اكثر فى شعر العرب من ذبنك فى الوافر اليس قد قال الراعى

ولا اتيت ابا خُبَيْب راغبا • ابغى الهدى فيزيدنى تضليلا

وقال تابّط شرّا

حيث التقت فَهْمٌ وبَكْرٌ كلّها • والدَمُ يجرى بينهم كالجدول

وهذا البيت من قصيدته المشهورة التى على الكامل واوّلها

يا نار شُبّت فارتففت لضوئها • بالجزع من افياذ او من موعِلِ

وانما قلت ذلك لئلا يُظَنّ البيت الذى فيه الزحاف من تامّ الرجز لان الكامل الاول والثانى اذا أُضمرت اجزاؤهما كلّها اشبها اول الرجز وثانيه وعلمه بذلك محيط وقد يجئ الخزل والوقص فى ضروب الكامل القصيرة اكثر من مجيئه فى الاولين كقول عنترة

يا دار مَاوِيّة بالسَهْبِ • بُنِيَتْ على خطب من الخطْب
بنيت على سعد السعود ولم • تبن على الدبران والقلب

وكقول امرى القيس ١١٢

تنكرت ليلى عن الوصل • ونات ورثّ معاقد الحبْل

ومع هذا كله فليس لتاركهما تلك المزية لان الغالب على الشعر القديم والمحدث ترك هذه الانواع من الحذف ولكن التوفيق من عند الله سبحانه ولما امتطى هذا الوزن وُفّق لكثير من الخير كما حُرِمَه قيس بن زهير لما جاء ببيته مرعَداً ذكر القسم بن سلام انه يُسمى مُقعدا وهو قوله

افبعد مقتل مالك بن زهير • ترجو النساءُ عواقب الأطْهار

وقد جاء بمثل ذلك غيره من الفصحاء انشد ابو عُبَيْدة

حنّت نوار ولا تهنّى حَنّتِ • وبدا الذى كانت نوار اَجَنّتِ

لما رات ماء السلا مشروباً • والفَرث يُعصر بالأكُفّ ارنّتِ

واما ما اختاره من رويّ . ليس بغويّ . فانه اعتام الدال حرفا تخيّره طَرَفة لكلمته المنفرده . والنابغة لوصف المتجرده . والباء التى خلصت من الرخاوة وضعف البناء . الى الشدة وتمكن الاثناء . ارسلها الفم فحرّرها . وكانّ الهدهد شغف بها لما كرّرها . والميم التى خفت عند القائلين . وزيدت فى اسماء المفعولين والفاعلين . اما الفاعل فاذا كان الفعل من ذوات الاربعة فما ١١٣ فوقها . واما المفعول وان كانت من ذوات الثلاثة فانه يحمل أوْقها . والنون التى هى قينة الحروف . ونسيبها علامة للمصروف . ثم انه لم يُقيّد حوافر الكلم اذ كان التقييد . ينقص به التابيد . ولكنه وصل واردف . واسّس ورفع السّدَف . ولست احمده على مجانبة اقواء واكفاء . ولا اعدّ ذلك فى الغريزة من الوفاء . لانه من عرف حروف المعجم . من شعراء العرب والعجم . وجب عليه ان يهجر ذلك فكيف لم يُوطئ كما اوطا قديم ومحدث . ومَنْ شأنه اذا نطق وَابل ودَثّ . وكيف برئ من السناد . الجائز على امرئ القيس وزياد . اما الكندى فانشد له الرواة

اذا قلت هذا صاحب قد رضيته • وقرّت به العَيْنان بُدّلْتُ آخَراَ

كذلك جدى لا اصاحب صاحباً • من الناس الا خاننى وتغيّراَ

فان زعم ادام الله عزه ان كثيرا من الرواة لم يَرْوِ هذا البيت وان الخليل كان يجيز مثل هذا فالجواب ان غير الخليل من العلماء يكره ذلك واجتنابه افضل فى مذهب الخليل ولولا انى عدلت عن تشبيه المُطلقات من كلامه الا ١١٤ بالمُطلقات من كلام غيره لكان امروُ القيس قد ساند على راى الخليل فى كلمته التى على الراءِ

لا وابيك ابنة العامرىّ • لا يدّعى القوم انى أفِرّ

لانه يرى اختلاف التوجيه سنادا وذكر ابن دريد فى الجمهرة ان ذلك يسمى الاجازة

بالزاى معجمة واما النابغة فان الرواية فى شعره مختلفة وقد رُويت له قصيدة على الحاء وليست فى اكثر الروايات اوّلها

عفا منزلَىْ سعدى بدمخ وذى حُسى • من الدهر يوما مستهلّ ورائحُ

ويقول فيها

• لعل المُدَى ايديهم فتذابَحُوا

وهذا سناد فى رأى الاخفش والدليل على انه عيب قِلّتُه ولما ترك هذه العيوب الفاحشة فكيف ترك اشياء هيّنة لم يعبها العلماء . ولا تجنّبتها القدماء . منها ثباته على كسرة الاشباع لم يخلط بها الضمة وذلك مباح عند الجماعة وانما الفتحة مع الحركتين الاخريين هى التى وقع فيها الاختلاف أليس قد قال النابغة فى العينية

يردن الالا سَيْرُهن تدافُع

وقال فى اللامية

وترك ورهط الاعجمين وكابُلُ

وقال ابو ذؤيب

اساءلت رسم الدار ام لم تُسائِلِ • عن السكن ام عن عهده بالاوائِلِ 115

وقال فيها

فان وصلتْ حبل الصفاء فدُمْ لها . • وان صرمَتْه فانصرف عن تجاهُلِ

ويروى تجامُلِ وقال صخر الغىّ

لعمرُ ابى عمرو لقد ساقه المنا • الى قَدَرٍ يُوزَى له بالاهاضِبِ

فلم يرها الفرخان بعد مسائها • ولم يهدَوَا فى عُشها من تجاوُبِ

وهذا كثير فى اشعار الفصحاء واشنع منه قول ذى الرمة

اما استحلبت عينيك الا محلة • بجمهور حزوى او بجرعاء مالِكِ

ثم قال

وقد غاب عنهن الغيور واشرقت • لنا الشمس فى اليوم القصير المبارَكِ

وهؤلاء يعذرون فى مثل هذا فما بال ابى عُبادة يقول فى قصيدته التى اولها لله عمر سويقة ما انضرا وقال فيها

لم تدع ذا السيفين الا نجدة • بك اوجبت لك ان تُقلّد آخرا
وقد دخل فيما هو اشنع من هذا اليس هو الذى يقول

لا تُلحقنّ الى الاساءة اختها • شر الإساءة ان تُسىءُ معاوِدا
وارفع بِديك الى السماحة مُقْفِلا • ان العلى فى القوم للاعلى يدَا
شروى ابى الصقر الذى مدت له • شيبان فى الحسنات ابعدها مدّا
وبسرّنى ان ليس يكمل شيمة • من معشرمن ليس يكرم والِدَا 116

فظن ابو عبادة ان الالف التى فى الكلمة المنفردة من اختها وليست الثانية من المتصلات بالضمير او من المضمرات نفوسها تصلح ان تكون تاسيساً فتجى مع والد وصاعد وذلك مُجْمَعٌ على رفضه عند من تقدم وغيره لا يجعلون الالف المنفصلة تاسيساً اليس قد قال العجاج

ما هاج احزانا وشجوا قد شجا

ثم قال

فهن يعكفن به اذا حجا

وقال عنترة

الشاتمى عرضى ولم اشتمهما • والناذرَيْن اذا لم القهما دمى

والقصيدة ليست بمؤسّسة وانما تضعف بعض الغرائز فى غير المؤسس فتجى بالتاسيس او فيما بُنِى عليه فتجى بما هو خالٍ منه وقد تامّلت ما نظمه فوجدته من ثلاثة اوزان اما ما بناه على الطويل من ذلك فعلى الضرب الاول والضرب الثانى فما بناه على الاول فلا يتسلط عليه السناد لانه بالردف الذى لا يشركه غيره من الارداف وانما يقع السناد فى المردف الذى يشركه غيره بما خلا من الردف وفيما كان بواو او ياء كما قال الزبَيْدىّ

لَصَلْصلة اللجام براس طِرْف • احبّ الىّ من ان تنكحينى

117 ثم قال

تقول ظعينتى لما رأته • شريجاً بين مبيضّ وجون
تراه كالثغام يعلّ مِسكاً • يسوء الفاليات اذا فَلَيْنى

فاما الذى أُردف بالالف فلم تساند فيه العرب ولا غيرهم من اهل الغريزة واما

الضرب الثانى من الطويل فاذا كان بالف التاسيس فجائز ان يطرأ عليه سنادان احدهما حرفىّ والاخر حركىّ فالحمد لله الذى كفاه شرّهما ووقاه معرّتهما اما الحرفىّ فهو الذى دخل فيه ابو عُبادة واما الحركىّ فهو الذى عوذ به غيلان شعره من الغوائل فى القصيدة الكافية واما ما نظمه من اول الوافر فانه اردفه بالالف فخلص بذلك مثل ما خلص غيره من المردفات باليا والواو من الالفات واما الكامل فانه استعمل ضربه الاول والثانى فجاء به مجردا لا يلحقه من السناد الا فنّ جاء به الوليد فقد خرج من غمرته كما خرج قِدْحُ ابن مقبِل . جاء بغنيمة للُمهتَبل . واما الضرب الثانى منه فقد علم ان الردف له لازم الا شُذوذاً رويت عن امرئ القيس فبرآءته من السناد اشد من برآءة غيره اذ كان غيره قد يستعمل تارة مردفاً وتارة مجرّدا وهذا لا يُستعمل 118
الا بردف وان كان ادام الله عزه يقول الشعر بقياس العروض فكيف تفرع هذه الاوزان التى هى سليمة قويمة ولم يجر عليه ما جرى على رَزين العروضىّ لما مدح الحسن بن سهل بقصيدته الكافيّة التى اوّلها

قربوا جمالهم للرحيل غدوة احبّتك الاقربوك

وقد شاهدنا بعض من يقول الشعر بالعروض ربما رَكِب وزن قصيدة المرقش وعنده ان غرائز الناس اليوم لا تنفر من مثل ذلك واحسبه جمّل الله به قد جمع بين طبع كالبحر الخِضَمّ . وعلم اكتسبه جمّ . ودلّنى كتابه على انه يحسبنى قد اضعت وده . وتناسيت فى طول الزمن عهده . انى اذا لمن الظالمين عرّفنى بنفسه انه من اهل البصرة وقد صح معى انه من اهل البصيرة الساكنة فى خلده . وتلك اجل من البصرة بلده . وهل البصرة الا حجارة بيض . يطوُها انس ورَبيض . اليس قد روى قول ذى الرمة

اذا ساقيانا افرغا فى ازائه ◆ على قلص بالمقفرات حِيامِ
تداعين باسم الشيب فى متثلّم ◆ جوانبه من بَصْرَةٍ وسلامِ

واهل البصرة سلمهم الله ينسبون الى قلة الحنين اليست قد مرّت به هذه 119
الحكاية وهى انه وجد على حجر مكتوب

ما من غريب وان ابدى تجلّدَه ◆ الا سيذكر عند العِلة الوطَنا

وقد كتب تحته الا اهل البصرة فاذا كانت تلك سجيتهم مع اهلهم واوطانهم فكيف بالذين عرفوهم من اخوانهم والدليل على ما قلت انه ادام الله عزه لم يثبت اسمي جعلني محمدا واسمي احمد فان احتجّ بان هذين الاسمين سواء لقوله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشدّاء على الكفار وبقوله فى موضع اخر برسول ياتى من بعدى اسمه احمد فان ذلك انما كان للنبى صلى الله عليه وسلم خاصّة لانه قال اسمى فى السماء احمد وفى الارض محمد فان قال قائل ان العرب قد يكون للرجل منهم الاسمان والثلاثة واحتجّ بقول دريد بن الصمة

تنادوا فقالوا اردتِ الخيل فارساً * فقلت اعبد الله ذلكم الرّدِى

وقال فيها

فان تُنسنا الايام والعصر تعلموا * بنى قارب انّا غضابٌ بِمَعْبَد

فان ذلك لا يخلو من احد امرين اما ان يكون للرجل اسمان ولستُ كذلك واما ان يكون الشاعر غيّر اسمه ضرورة ولو كان غيّر اسمى فى النظم دون النثر لكان عذره فى ذلك منبسطا لان الشعراء الجِلّة يغيّرون الاسما . قال الحُطَيْئة ١٢٥

وما رضيتَ لهم حتى رفدتهمُ * من وابلٍ رهط بسطام باصرام
فيه الرماح وفيه كل سابغة * قضاء محكمة من نسج سلّام

اراد سليمان عليه السلام وهذا تغيير على غير قياس لا يسلك به مسلك غيره من قولهم عالية وعُليّة وفاطمة وفُطيمة فى القصيدة الواحدة يعنون امرأة بعينها ولا مجرى قولهم ابو قابوس وابو قبيس للنعمن بن المنذر وزَبّار والزبير يعنون الزبير بن العوام لان هذا ترخيم التصغير وهو قياس مطرد قال القطامى

امست عُليّة يرتاح الفؤاد لها * وللرواسم فيها دونها عَمَلُ

وقال فيها

أَلَمْحة من سنا برق رَأَى بصرى * ام وجه عالية اختالت به الكِلَل

وقال المرقش

افاطم لو ان النساء ببلدة * وانت باخرى لاتّبعتك هائماً
وانى لاستحيى فُطَيمة جائعاً * خميصا واستحيى فطيمة طاعماً

وقال عمرو بن حسان الشيبانى

الا يا ام عمرو لا تلومى • اذا اجتمع الندامى والمدام 121
أفى بكرين نالهما سوافٌ • تاوّهُ طُلّتى ما إن تنام
وهل أحيا هدلتِ ابا قبيس • عمود المُلْك والنَعَم الرُكام
بَنَى بالغمر اكبد مكفهرًّا • تغرّد فى جوانبه الحمام

وانما يريد بابى قبيس ابا قابوس وزعمت الرواة انه كان لصفية ابنة عبد المطّلب ولدان الزبير والسائب وكان السائب يعقها فقالت فيه

يشتمنى السائب من خلف الجُدُرْ • لكن ابو الطامر زَبّار ابَرّ
ميذر لماله بَرٌّ غُفُرْ

فالزُبير ترخيم الزَبّار فى التصغير فردّته الى اصله ولا ندفع ان الشعراء قد سموا الرجل باسم ابيه على سبيل الضرورة أليس قد قال الراجز

صبحن من كاظمة الحِصْن الخَرِبْ • يحملن عباس بن عبد المطلب

وقال اوس بن حَجَر

فهل لكم فيها الىّ فاننى • بصير بما اعيا النِطاسى حذيماً

يريد ابن حذيم وقال ذو الرمة وذكر يوم الكُلاب الثانى

عشية فر الحارثيّان بعدما • قضى نحبه فى مُلتقى الخيل هَوْبَرُ

وانما يريد ابن هَوْبَر يدلّك على ذلك قول عمر بن لجاء

ونحن ضربنا بالكُلاب ابن هَوبَر • وجمع بنى الديان حتى تبدّدا 122

وانا اتسامح له ادام الله عزه بهذه واعدّها زينا . لا شينا . اذ كانت قَذاةً فى بحر مزبد . بل اثر سجود فى جَبهة متعبّد . وله ان يقول انه تشبث بالكُنْية فاستغنى بها عن الاسم فاما انا فحفظت اسمه وكنيته ونسبه ولم انس ايامه ولا مذاكرته وقد جَعلت جواب كتابه نائبا مناب الاجتماع معه فلا ينكر علىّ الاسهاب فى المحاورة والاكثار من المفاوضة وما عبت على اهل البصرة قلة التفاتهم الى الاوطان وانما وصفتهم بقوة القلوب والاكباد لان العرب تصف نفوسها بذلك أليس قد بلغه قول قتادة بن مسلمة الحنفى

يُبْكى علينا ولا نبكى على احد • لنحن اغلظ اكبادا من الابل

وقد تفقدت موضعا آخر فى منظومه ادام الله عزه وليس ذلك على سبيل الانتقاد . بل على منهاج المذاكرة الصادرة عن حسن اعتقاد . قد برّأ النظم من الضرورات المدرية والعجزية والحشوية ولم يحذف التنوين كما قال القائل

كفانى ما خَشِيتُ ابو فراس • وعَدلُ ابى فراس كفى وزادا

ولا حذف اليا فى غير موضع الحذف كما قال الاعشى

123 واخو الغوان متى يشأ يصرِمْنه • ويصِرْن اعداءً بُعَيْدَ وداد

وكما قال خفاف

كفواح ريش حمامة نجديّة • ومَسَحْتِ باللِّثَتَيْنِ عصف الاثمد

ولا رخّم فى غير النداء كما قال القائل

اودى ابن جلهم عبّاد بِصِرْمته • ان ابن جلهم امسى حية الوادى

وقال زهير

خذوا حقكم يا آل عِكرِمَ واذكروا • اواصرنا والرِحْم بالغيب تذكر

وقال الآخر

ان ابن حارثَ ان أُشْتَقْ لرؤيته • او امتدِحْهُ فان الناس قد علموا

ولا حذف من الاسم ما يخل به كما قال لَبيد

درس المنا بمتالع فابان

يريد المنازل وكما قال علقمة

كان ابريقهم ظبى برابية • مُنَطَّقٌ قُضُبَ الريحان مفغوم

ابيض ابرزه للضِحِّ راقبه • مقلد بسبا الكتان مفدوم

يريد بسبائب الكتان وكما انشد ابن الاعرابى

اناس تنال الماء قبل شفاههم • لهم واردات الغُضْر شُمّ الارانب

اراد الغضروف ولا عوّض من الصحيح حرفا معتلّا كما قال الراجز

ومنهل ليست له حوازِقُ • ولضفادِى جَمّه نقانق

124 اراد الضفادع وكما قال الاخر

لها أشاريرُ من لحم تُتمّره • من الثعالى ووخز من أرانِيها

اراد الارانب والثعالب ولا سكّن فى غير موضع التسكين كما قال الاخر

اذا آعوججن قلت صاحبْ قوّمِ • فى الدو امثال السفين العُوّمِ

وكما انشد سيبويه لامرئ القيس

فاليوم اشرب غير مستحقب • إثما من الله ولا واغل

ولا بنى الاسم غير بنيته اعنى الاسماء الشائعة فاما اسمى فقد سبق فيه ما سبق وانما عنيت مثل ما قال بعضهم

كان فاها عَبَقرّ بارد • او ريح روض مسه ترشاش رِقّ

وانما هو على قول بعض الناس عَبْقر على مثال جَعْفر واما عبقرّ على هذه الهية فبناء مستنكر لم يذكره سيبويه فى الابنية فمن هجر هذه الضرورات كلها وغيرها مما لو ذكرته لطال به الكتاب كالتقديم والتاخير والفرق بين المضاف والمضاف اليه كما قال الفرزدق

وما من بَلاءٍ غَيْرِ كل عشية • وكل صباح زائر غير عَائِدِ

وكما قال سُدَيْف

فكيف ولم اذا سُمّيت يوما • تكن للناس يدركك المِراءُ 125

اراد فكيف ولم تكن يدركك المراء اذا سمّيت للناس وكما انشد ابو عبيدة

فاصبحت بعد خط بهجتها • كان خطّا رُسومُها قَلَماً

فكيف استجاز ان يقصر كنية صديقه اما السمة فغيّرها واما الكنية فقصرها فانا لله وانا اليه راجعون هذا امر من امر الله ليس هو من ضعف الشاعر ولا وهن القائل ولكنه من سوء الحظ لمن خوطب والاتفاق الردى لمن سُمّى وذكر ولا يقل سيدى الشيخ ادام الله عزه قد قصرت الشعراء قديمها ومولّدها واولها السالف واخرها وفصيحها الطبعى ومتكلّفها فانه لو كان استعمل ضرورة غير تلك لقبلت حجته ولكنه الغى الضرورات باسرها ورفض العيوب فلم يستعملها وانما تغوّثتُ من ذلك لانى قصير الهمة قصير اليد مقصور النظر اى مكفوف مقصور فى البيت اى لازم له فكانى محبوس فيه فما كفانى ذلك مع قصر الجسم حتى يضاف اليه قصر الاسم لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم لو كنت 126 اطول من ظل الرمح لصرت اقصر من سالفة الذباب قد كدت امصح فى الارض كما تمصح الظلال مثل ما قال القائل

دأَبْتُ الى ان ينبت الظِلّ بعد ما • تقاصر حق كاد فى الارض يمْصَحُ

لو كنت اطول الاسماء وهو المصدر الذى فعله على ستة احرف مثل احرنجام واستخراج فحذف منى لكل صنف من هذا القصر حرف لم يبق منى شى او كان ارفع منازلى ان ابقى على حرفين الاول متحرك والثانى ساكن وذلك اقصر الاصوات الذى لا يمكن النطق باقل منه وكنت اصير سببا مضطربا فيدركنى القبض والكف والقصر ويجترئ علىّ الشعراء فاحذف فى الموضع الذى يتاتّى فيه حق لى متعارف بين الناس كما قال ابو دؤاد

اكل امرئٍ تحسبين آمرَاً • ونار تَحرّق بالليل نارا

والفقد المستاصل اروح من الحيوة فى هذه المنزلة ولو كنت السباعىّ الذى فى الكامل ثم قُصِرت هذا القصر لكنت جديرًا ان اصير الحرف الذى يكون به الضرب السابع من الكامل مُذالا ولو كنت سباعى الرَمَل ثم صنع بى ذلك لكانت البقية منى تسبيغا فى الرابع فاما خماسى البسيط فلو كُنْتُه ثم صُنِع بى مثل هذا لذهبتُ البتّة فلم يبق منى ما يكون ذيلا للثالث وهبنى اسما 127

خماسيا فَيُرخّم ترخيما اوّلاً ثم ترخيما ثانياً على القياس لا على السماع ثم ثالثا فى راى الاخفش والفرّاء دون غيرهما من اهل العلم ثم يجب ان يُكَفّ عنه بعد ذلك ولا يحذف منه شئٌ فى كل المذاهب اللهم ان يتاوّل فى المذهب الذى حكاه ابو عبيدة عن العرب من ان بعضهم يقول ألاَ تَا فيقول بعضهم بلى فا يريد ألاَ تذهب وبلى فاذهب وعلى هذا يحمل قول الراجز

قد وعدتنى ام عمرو ان تا • تَدْهن راسى وتُفَلِّيني وَا

وتمسح القَنْفاء حتى تَنْتَا

ولعل سيدى الشيخ ادام الله عزه ظن انى مكنىٌّ بعَلَى التى هى حرف خفض من قولك عَلَى زَيْدٍ مَال ولو كنت كذلك لوجب ان يقال ابو عَلَى بغَيْر الف ولام لان هذه الحروف اذا اخرجت من ابوابها صارت متعرّفة تعريف الاعلام مثل زيد وعمرو وهى ضد حروف المعجم لان تلك فى بابها بغير الف ولام فاذا اخرجت منه لحقتها علامة التعريف فقيل الباء والتاء والثاء فاذا عدمت ذلك

128 فهى نكرات وعلى واخواتها ليست كذلك وما عنيت حروف الخفض وحدها بل جميع حروف المعانى اليس قد روى بيت ابى زُبَيْد

ليت شعرى واين منى ليتٌ ❊ ان لوًّا وان لَيْتاً عناء

وقال النابغة

الا يا ليتنى والمرءُ ميتٌ ❊ وما تغنى من الحدثان ليتُ

وقال النَمِر

علقت لوًّا تكرره ❊ ان لوًّا ذاك اعيانا

ولعله ادام الله عزه يتاوّل ان الالف واللام دخلت عليها كما دخلت على العمرو فى قول ابى النجم

خلّص ام العمرو من اسرها

وكما دخلت على الأَوْبر فى قول القائل

ولقد جنيتك اكمُؤاً وعساقلاً ❊ ولقد نهيتك عن بنات الأَوْبَر

وكما قال الاخر

وجدنا اليزيد بن الوليد مباركًا ❊ شديدا باعباء الخلافة كاهلُه

وانما الكلام ام عمرو ويزيد بن الوليد وابن اوبر لضرب من الكمأة كما انشد ابو حاتم عن الاصمعىّ

ومن جنى الارض ما تاتى الرعَاءُ بِه ❊ من ابن أُوْبر والمَغْرُود والفِقَعَه

ولكن هذه مواضع ضرورات وزعموا ان الشاعر قال اليزيد بن الوليد مباركاً فاجترأ على مجئ الالف واللام فى يزيد لما جاءتا فى الوليد فكان المعروف 129 ثباتهما فيه وان كان ادام الله عزه تاوّل انى مكْنىّ بعَلاّ الذى هو فعل ماض فهو فى التعرية من التعريف بالالف واللام مثل الاول اليس قد سمع قول القُلاخ

انا القلاخ بن القلاخ بن جلا ❊ ابو خَنَاثِيرَ اقود جَمَلا

وقال سُحَيْم بن وَثِيل الرّباحى

انا ابن جلا وطَلّاع الثنايا ❊ منى اضع العمامة تعرفونى

وليس فى قول الفرزدق حجة لدخول الالف وللام على الافعال حيث قال

ما انت بالحكم التُرْضَى حكومته • ولا الاصيل ولا ذى الراى والجلد

ولا فى قول طارق بن ديسق

ويستخرج اليربوع من نافقائه • ومن بيته ذى الشيخة اليَتَقَصَّعُ

لان بعض الناس لا يرى هذه الرواية شيا ومن زعم انها صحيحة فانما يحملها على الضرورة اللهم الا ان يزعم ادام الله عزه ان هذا جار مجرى قول النحويين فى الدُئل اذا كان على مثال فُعِل لان سيبويه لم يذكر هذا المثال فى الامثلة الثلاثية وهو اسم مشهور فزعم المحتجون فى ذلك ان قولهم لهذه الدويبّة الدُئِل كان 130 فى الاصل فعلاً كانه دُئِلَ من قولهم دأل الماشى دَألانا وهذا مكان مدءول فيه ثم سمّى به وهو فُعِل فدخلت عليه الالف واللام لما وضع اسماً للجنس وهذا يشبه قولهم لخرزة من خرز النساء الينجلب وكانها سميت بقولهم ينجلب وهو ينفعل من جلبتُ كانها تجلب بها زوجها الى ما تريد قالت امراة من العرب

اخذته بالينجلب • فلم يَرِمْ ولم يغِبْ • ولم يزل عند الطُنُبْ

وهذا قليل من كلامهم وانا اجيب سيدى الشيخ الى هذا التاويل ولا اترك للعتب سُلّما الى تفضله . ولا للتقول سبيلاً على مِنّته . وكيف وقد غلا فى وصفى . واعطانى ما لا يستحقه موضعى . اليس قد بلغه فى الحديث المروىّ عن عمر بن الخطاب رضه انه خرج ليلة يمشى ويده على كتف ابن عباس رضه فقال انشِدْنى لاشعر شعرائكم قال له ابن عباس ومن هو قال الذى لا يعاظل بين البيتين ولا يتبع حُوشى الكلام ولا يمدح الرجل الا بما فيه يعنى زهير بن ابى سُلَمى 131 فسيدى الشيخ قد اخذ بخلّتين من هذه الثلاث لم يعاظل بين البيتين ولا اتبع حوشى الكلام وقد مدحنى بما ليس فىّ ولكنه فى ذلك على مذهب الخطباء والشعراء وزعم صاحب المنطق فى كتابه الثانى من الكتب الاربعة ان الكذب ليس بقبيح فى صناعة الشعر والخطابة ولذلك استجازت العرب ان تقول فتفرط وتسرف فى الشى فتُغْرِق قال الشاعر فى وصف السيف

ترى ضرباته ابدا خطايا • الى ان يستبين له قتيل

وقال النمر بن تولب

ابقى الحوادث ما ابقين من نمر • اسباب سيف قديم اثره باد
تظل تحفر عنه ان ضربت به • بعد الذراعين والليتين والهادى

وفى كتابه ادام الله عزه شكوى رَعْشَةٍ وما اعرف سببًا يُؤدِى الى ذلك الا ان يكون الافراط فى درس العلم فقد قال الشاعر

ارعشتنى الخمر من إدمانها • ولقد أُرعشت من غير كِبَرْ

وهو ان شاء الله يعيش اكلأ الاعمار. من غير تمار. لا يفتر له فى الادب نيّه . ولا تَنْقَضُ منه ثنيّه . بل يكون فى ذلك مثل ابى ليلى نابغة بنى جعدة فانه الذى يقول

فمن يك سائلا عنى فانى • من الفتيان فى زمن الخُنان
مضت مائة لعام وُلِدتُ فيه • وعشر بعد ذلك واثنتان 132
وقد ابقت صروف الدهر منى • كما ابقت من السيف اليمانى

وسمعته ذم الغربة فى كتابه او عرّض بذمها ولِمّ فعل ذلك ادام الله عزه الا يرضى الرجل ان يستنّ بسنّة موسى صلى الله عليه لما قيل فيه ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى ان يهدين سواء السبيل انسى دخوله الى المساجد فى اوقات الصلوات . وإفضاءه الى المدائن من بعد الفلوات . اما يذكر وقد مرّ به فى كتاب المجاز لابى عبيدة قول الراجز

يا حبذا القمراء والليل الساج • وطرق مثل مُلاءِ النسّاج

فطرب لهذا البيت حتى شوّق الحاضرين الى ركوب السفر . والتعريس على العَقر . والغُربه . بها تُحلّ الأُربه . وطالما اضحى الغريب . وهو من ادراك الغرض قريب . وكيف به اذا اضاف الى بلوغه محابّه مشاهدته اهل الادب فى الامصار المختلفه . ومناظرته المتحقّقين بالعلم فى المسائل المؤتنفه . وكيف به اذا سامر الفرقد . وبات بليلة ابن انفد . الا يشتاق الى تحامل اللهيد . وحَادٍ يهتف بهيد . وراء قلائص كقلائص النجم . لا تسأم عيونها من السَّجْم . اخفافها 133 بالدم راعفه . ونسائها بالذميل مساعفه . كانما تنظر الى الوحوش من ثماد . وتحمل رحالها على جماد . فهى كما قال غيلان بن عُقبة

يُصبحْن بعد الطلِق التجريد • شَوَائيًا للسائق الغِرّبد
اذا حدوناها بهيدٍ هِيدِ • صَفحْن للأزرار بالحدود
وفِتْية مثل النشاوى غِيد • قد استحلوا قِسمة السُجود
والمسح بالايدى على الصعيد

فعهدى به تعجبه هذه الارجوزة وهو ينشد منها الابيات

قد هَزئت اخت بنى لبيد • وعجبت منى ومن مسعود
رأت غلَامَىْ سَفَر بعيد • يدّرعان الليل ذا السدود
مثل ادّراع اليلمق الجديد

واذا كان الامر كذلك كان رحله على حرف ضامر. لا تعهد سوى الحُداة من سامر . تستن فى السراب كالنون . وتنظر بعيني مجنون . ما درّت قط على فَصِيل . ولا اَبَسّ العبدان بها للحلب فى السحر ولا الاصيل . بل هى كما قال الاعشى

من سَراة الهجان صَلّبها العُضّ ورعى الحمى وطول الحِيَال

134 كانها والزَبد عام . فَحْل شَرَد من النعام . تَنتح ذِفراها بقطِران . ولا تضرب للاناخة بجِران . كانها من غير المين . علجٌ قَرِحَ عاما او عامين . رتع فى روض بعد روض . وهبط القرار فى إثر النوض . فهو حادى سبع او ثمان . اَخْدَرِيّ النسب فاما البلد فيمان . وهو ادام الله عزه فى كورها يترنم بقول الشماخ

كانّ قُتودى فوق جابٍ مطرّد • من الحُقب لاحته الجِذاب الغوارزُ
طوى ظِمْأها فى بيضة الصيف بعدما • جرى فى عنان الشعريين الاماعزُ
وظلت بِأَبْلِيّ كانّ عُيونها • الى الشمس هل تدنو رَكِيٌّ نواكزُ
مُسبّبة قب البطون كانها • رماح نحاها وِجْهة الريح رَاكزُ

قد حلبها الهجيرُ من ذِفْراها . فاما اخلافها فلا يدرك صَراها . هيهات هيهات لما توعدون . فقاتل الله معقل بن ضرار حيثُ يقول

كان ذراعيها ذراعا مُدِلّةٍ • بُعَيْد السِباب حاولت ان تعذرا
كان بذفراها مناديلَ فارقت • اكف رجال يعصرون الصَنَوْبَرا
ومرت على ماءِ العُذَيْب وَعينُها • كوَقْب الصفا جِلْسيّها قد تغوّرا

تكرع مرة فى عذب وتارة فى ماج . وتبيت على غير لماج . وتفجع القطاة الكُدْرية بمغرياتها . وتجرى من الدأب على عاداتها . وكانها للعيس امامْ . وعليها 135 من النصب والآيْن زمامْ .

فهن معترضات والحصى رَمِض ◆ والريح ساكنة والظلّ معتدلُ
يتبعن سامية العينين تحسبها ◆ مجنونة او ترى ما لا ترى الابِلُ

اذا صار الظل جَوْرَبًا او نَعْلاً . فاتت المطى النواجى وَجِيفاً ومَعْلا .

جاءت تسامى فى الرعيل الاول ◆ والظل عن احفافها لم يفضُلِ

فهى لا تُتعب سائقاً . ولا تخاف من الكلال عائقاً .

اذا المطى اتعبت سُوّاقَها ◆ وركبت اخفافُها اعناقَها

ولقد كانت هى وصواحبها كالآطام . وبحرها بالعنق طام . فلم تزل تجف بالنهار والليل . حتى هى كقلوص ابنى سُهَيْل .

كان لها برحل الفوم بوٌّ ◆ وما إنْ طِبُّها الا اللُغوب

تسال بعينها العبس . اكلّكِ غِذَاء الرَعِيس . بل كنّ على السفر مؤبدات . فثناهن الجدّ مقيّدات .

قيّدها الجُهْد ولم تقيّد ◆ فهى سوامٍ كالقنا المسنّد
كانت تقيّد ان تمرّ بمنزل ◆ فالان صار لها الكلال قيودا

وهو ادام الله عزه فى ذلك اذا التفت راى وحشية نوارا . او ذيّالاً يالف جِوارا . 136 او اربد له وديعة بالأدْحِيّ . يعُدّ الحنْظل معُونة على الحىّ . وينظر الى الحرباء مائلا على العود . وهو ظاهر على ظهر قَعود . يسمع اغانى الجنادب . ويعجب لابى جخادب . والظبا مثل الاحراج . كلهن لظِلال السَمُر راج . فكانها دَوِيّة غيلان لما قال

كأنّ ادمانها والشمس راكدة ◆ وَدْعٌ بارجائها فذّ ومنظوم
يضحى بها الارقش الجَوْن القراَ غَرِداً ◆ كأنه زَجل الاوتار مخطوم
من الطنابير يزهى صوته ثَمِل ◆ فى لحنه عن لغات العرب تعجيم
مُعْرَوْرِيا رَمِض الرضراض يركضه ◆ والشمس حَيْرَى لها فى الجوّ تدويم
كان رِجْليه رجلا مُقْطِفٍ عجِل ◆ اذا تجاوب من بُرْديه ترنيم

حتى ترد مآه اسداما . تحفره الضَبُع ويميل انهداما . متى ذاقه المائح تفلْ . والشُعاع قد غرب او طَفَلْ . او نُطفة آجنه . ضمّنتها الديم شَاحِنه . يجتمع لديها الاسراب . وانها لبئس الشراب . انها لكما قال اخو بنى نُمَيْر

ومآء تصبح القَلَمات منه ◆ كَهْمر بُراق قد فرط الاجونا
اثرْتُ دفينَه واطرت عنه ◆ اوالف قد تبوّأن الحضونا
بسفرة راكب ومُوصّلات ◆ جمعت الرثّ منها والمَنِينا

137 او يكون رحله ادام الله عزه على وجناء خادج . تبتدر كالمَعِل الهادج . لا ترهب هجوم الكلال . ولا تعاب فى الظهائر بملال .

كتوم الرُغاء اذا هجرت . وكانت بقية ذودٍ كُتُم

كانها مارية مَوْشِيَّه . ابرزتها للرِعى العشيّه . ومعها طلىّ مُعَفّرْ . فى روض كان ريّاه المسك الاذفر . فاتيح له العائل من السراحين . فارتقب غفلة تعرض لها اى حين . فلما شغلها اينق مرعى . تجتلب فيقة به تشكر ضرعا . ذكرت الولد ذكر واله . وان واحدها فى احدى المتاله . فكرّت تلتمس شقيق النفس . فوجدته قد صار اثرا مثل امس . لم تلف الا راسا واكارع . وإهابا بقى من السيد الشارع . فاياها عنى القطامىّ بقوله

كان قتود رحلى حين ضمت ◆ حوالب غرزا ومعًى جياعا
على وحشية خلجت خلوجاً ◆ وكان لها على طفل فضاعا
فكرّت عند فيئتها اليه ◆ فالفت عند مربضه السباعا
لعبن به فلم يتركن إلا ◆ إهاباً قد تمزّق او كراعا

138 او يكون على طِرف اعوجىّ . ما هو لعثاره بالنجى . كان جسمه من عسجد . وحوافره من الزبرجد . تحسب غُرّته كوكب ليل . وجِراءه اتى السَيْل . لا يُفْقر من ركب الى هاب وهب . بل يحتدم بشَدٍ مُلْهبْ . يسامِى المُلْجم بعُنق جذعىّ . ويبارى الشِمال بخَبَب غير دعىّ . فكلما عرض ربربٌ او أُجْل . فله من ذلك الفرس حِجْل . فهو زاد للركب غريض . قُوتهم عليه فى البيْداء فريض . وهو لعلج العانة عدوّ . يروعه به الغدوّ . كانه اجدلٌ هوى من نيّق . او

ينظر بعيني سوذنيق . يترك النعامة يتيمة الرال . ويتكبر عن نقال الاجرال . وتلمح فارسه عيون الاعداء . كالنجم بالافق بدا لاهتداء . لا تُشرع له أسنّة الرماح . ولا يدرك بسوى الطرف اللماح . فان عداه ذلك فجهازه على مذرّع شحّاج . بمثله بُلغ قضاء الحاج . قُوبل بين العير والفرس . وأُغِير خَلقه اغارة المرس . بنظيره تطوى الارض النطيه . وترام الطيّة . شاهده على ذلك قول ابن الرّقيات

خلعوا ارسُن الجياد وساروا ♦ قارنيها بشاحجات البغال

وقول ابن مقبل 139

بِسَرْوِ حِمْيَرَ أبوالُ البغال به ♦ أنّى تَسَدّيْت وهْناً ذلك البينَا

وقول الاسدى

فقد جاوزن من غُمدان ارضا ♦ لابوال البغال بها وقيع

ومثل هذا كثير وقد يجوز ان يقتنع من له صيت فى السماء . بان يركب قصير الاظماء . وكم خَيْر . وُصل اليه بالعَيْر . وكم راكب حمار . افضل من راكب جواد غير (ذى) ائتمار . قال الله جل اسمه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس ولا باس ان يسلب الله الرجل حلة الاغنيا . فيلبس بتفضل الله حلل الانبياء . فيستعين على السفر بمطية طلحيه . ليست بالملولة ولا الملْحيّة . اذا حل فى المنزل اغنته عن الملأ . بغنائها عن ماء وكلأ . وهى فى التلف . قريبة الخلف . حبذا تلك مطبة قال الله عز وجل وما تلك بيمينك يا موسى . قال هى عصاى اتوكأ عليها واهش بها على غنمى ولى فيها مآرب اخرى . وانما حمدت الغربة وذكرت بعد ذلك مشقّة السفر لان المكارم قُرنت بالجهد . وللُخطبان جُعل سُلما الى الشُهد . وقد قال الاول

لا تحسب المجد تمرا انت آكله ♦ لن تدرك المجد حتى تلعق الصَبِرا

قد اطلت اطال الله بقاء سيدى الشيخ ومن اطال . خالف الابطال . وهذا 140 وان اختصر . واقتصر . انما اجبته بنثير دون منظوم لانى منذ سنوات . اعرضت عن تلك الهنوات . واما صديقنا ابو حمزة رحمه الله فقد نقله الله جل اسمه من دار الشقاء . الى دار النعيم والبقاء . وقد روّض جدثه عاما بعد عام .

وصار جسده للارض الملتهمة مثل الطعام . وانا والجماعة نبعث الى سيدى الشيخ مع راكب الطريق . ونسيم الريح الخريق . والعقيق الموميض . والخيال المتعرض . سلاما تارج رحال الرفقة اذا آستُودعتْه . وتبتهج

قلوب النفر ان الاذان منهم سمعته .

وحسبى الله وحده

٢٨

وكتب الى رجل جوابا عن رقعة كتبها اليه فى حال عدل من عدول القاضى ترك الشهادة واستعفى منها

بسم الله الرحمن الرحيم فيما ذكره سيدى الشيخ ادام الله عزه تذكرة لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ولكن ليس لقلب خِداش اذنان . وقد افصح . من نصح . وكيف بغلام اعيانى ابوه ♦ شِنْشِنَة اعرفها من أُخزم ♦

١٤١ قد كان ابو هذا الرجل رحمه الله ترك الشهادة فى اخر عمره . والسعيد من وُعظ بغيره . وقد خَبَرْت ما عند هذا الرجل فكان كالظبى ترك ظِلّه والعَيْرُ أوْقى لدمه شَبَّ عمرو عن الطوق

ان الغصون اذا قوّمتها اعتدلت ♦ ولن تلين اذا قوّمتها الخشب

وقد حمل ثقل الشهادة اربعين سنة فلو كانت قميصاً لتمزقْ . او عضوا من اعضاء الجسد لأخْلَقْ . وانما الامر بقوابله . ولن يعدم المسلمون ازكياء بَرَرَة وهم بحمد الله كثير فى هذه البلدة والشهادة فرض على الكفاية فاما الاصاغر وتعريضهم لهذه المشقّة فاهل القتيل اولى به وولِّ حَارّها . من تولى قارّها .

ورأى الشيخ خير من مشهد الغلام وليست صناعة مكسب يُخشى فَوتها . ولا عروساً تُخطب فيخاف موتها . من كان ثقة برا فهو العدل المقبول . واذا كان ادام الله عزه مؤثرا لاصدقائه الكون فى هذه المنزلة فِلَم لا يباشرها بنفسه ويُلقى عليها الفائز من قِداحه فقد ذكر صاحب كتاب الورقة جماعة من الشعراء كانت القضاة تقبل شهاداتهم منهم السيد الحِمْيرىّ على انه كان فى ذلك 142 الزمان ينسب الى مذهب الكيسانية وكانت القلوب منه نافرة ولن تخلو الامصار من قوم هذه سجيتهم وقد كان ممن ادركنا زمانه ابو عبد الله النمرى البصرى مقبول الشهادة عند القاضى بالبصرة وكان من شعرائها واذا كان ادام الله عزه على هذه الحال من النصيحة لعامة المسلمين فما قوله لاهل صناعته كانّى به آسفا لمقتل حُجر ابى امرئ القيس الى اليوم تعصّبًا للكندى وكم يودّ انه يغرم للمساكين ولا يكون للحرث اليشكرى جاء بالبيت الذى فيه ماء السماء فى القصيدة المرفوعة وبكم دينارًا كان يفتدى اقواء النابغة وانكار اهل المدينة عليه ذلك وكم مائة كان يبذل فى اشتراء قدمين حسنتين لابى عبادة فيقال انه كانت قدماه قدمى طاوس وكم حجّة كان يحجّ الى الكعبة يسال الله سبحانه ان يزيد الفرزدق بن غالب عقدًا فى قامته فانه كان قصيرًا وما الذى كان يبذل فى ان يبقى على اعشى قيس شفًّا من بصره يهتدى به وكانى به مغموماً لعَوَر ابن احمر والشماخ والراعى النميرى واذا كان دابه مع الذين يخالفونه فى الدين والعُصُر فما باله مع اهل دهره وانما هو لهم أمٌّ 143 افرشت فانامت وكانى بالرجل منهم واقفا بين يدَيِ السلطان اعز الله نصره وهو ادام الله عزه يرجف قلبه خوفاً عليه من الزلل والخطأ ومن اولى منه بالبرّ والله يبلغه اطول اعمار الشعراء فى صحّة كصحّة الوحشى الآبد . وبَصَر كبصر الغراب . وسمع كسمع الفرس وبعيدة فى ذلك مما يلحق ذوى السن فانهم ربما صاروا يكسرون الابيات ولا يشعرون وقد شاهدت منهم رجلا تلك سبيله وهو يعرف الحكاية عن البحترى وانه كسر فى قوله

ولما ذا تَتبعُ النفس شيئًا ◆ جعل الله الفردوس منه جزاءا

واذا كانت نيته للغُرباء من اهل العصر على هذه الصفة فاحسن بها

لشعراء بلده الذين هم اخوانه وبنوا عمه فهم ان شاء الله تع بالعكس مما قال الاسدى

لعمرك انى لو اخاصم حيّة ◆ الى فَقْعَسٍ ما انصفتنى فَقْعَسُ

والحمد لله الذى جعلكم ضد ما قاله المتلمس

احارث انا لو تساط دماؤنا ◆ تَزَايلْنَ حتى لا يمسّ دم دما

وقد عجبت من سداده ادام الله عزه فيما اشار به وحسن تسوّره على المعانى
ولكن اعط القوس بارئها . الان صار الرمية الى النّزعة وانما قلت ذلك لان.. 144
بعض الشعراء لا يكون له تصرّف فى منثور الكلام وقد روى ان البحترى كان
لا يقدر على كتب رقعة فيجعل المنظوم عوضا من المنثور .

والله المشكور . سبحانه على ما خوّله من نظم
ونثر وكلاهما للدرّ نسيب . يكاد
يسمع لمائه قسيب

٢٩

ومن كلامه فى جملة رقعة

قال الحُطَيْئة

أُطوّف ما اطوّف ثم آوى • الى بيت قعيدته لَكَاعِ

وبيت ولى سيدنا الشيخ اطال الله بقاءه صفر من صَناع ولَكَاعِ . وانما قدمت ذلك اعتذارًا من التقصير وانا اسبح فى تفضله اين حللت واهل الشام يجرون من اهل العراق مجرى الهُجن من العراب وشاء المصر من الظباء الراتعات والثمار تفضل الثمار كفضل الناس على الناس وفى كتاب الله تعالى ومما رزقناهم ينفقون وقال النبى صلى الله عليه وسلم لو دُعيتُ الى مرماةٍ لاجبْتُ والمرماة زائدة تكون بين ظِلْفى الشاه وقال قائل العرب اشبه امرءا بعض بَزّه ولو اهديت اليه الافق بثريّاه . والربيع الزاهر بريّاه . لكان عندى انى قد قصّرت وفى هذا 145
البلد فستق ردى يسمى غيظ الجيران ومعنى هذا الكلام انه اذا كُسر ظن جيران السوء انه ملآن فحسدوا عليه وهم لا يعلمون انه فارغ وقد وجهت شيا منه ليعبث به اتباعه ولولا علمى بشرف اخلاقه وكرم نفسه لم اجسر على ذلك وما اولاه بان يجرينى على العادة فى التفضّل ان شاء الله

٣٠

وكتب يعزّى بعض اصدقائه وهو خاله ابو القسم بن سبيكة باخيه ابى بكر وكان توفى بدمشق رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم سيدى ادام الله عزّه حسام يمان . لا يخلق بتقادم الزمان . ونجم عال . نُزّه عن سوء الافعال . وراحٌ كلّما زادت قدماً . ازدادت حسنا وتنسما . وهل تفرّى للشمس اديم . او نَقَصَها ان نورها قديم . وهل سلبت الحِقَب زَهْوَةَ مكانه . او صَهْوَةَ ركانه . ولو كانت كتبى الى حضرته حسبما اعتقده لاوردْتُ كل ساعة اليها كتابا . وخبرًا عنى منتابا . ووصفت شوقا اجده . لا تزال الذكرى تُنْجِده . ورب سؤال حفىّ . يُخبر عن اشتياق خفىّ . والله يحفظ
146 علينا رضاه . ويثبته على ما سرّ او حزن مما قضاه . والقدر غالب ابىّ . فالعياذ بالله ان نقول كما قال المحاربىّ .

اهتز عرش الله ذى الجلال • لموت خالى يوم مات خالى

ولكن إنّا لله وانّا اليه راجعون كل من عليها فان وانما ابن آدم شبح منقول . فرحم الله ابا خراش حيث يقول .

الم تعلمى ان قد تفرّق قبلنا • خليلا صفاء مالك وعقِيلُ

والرجل دائب فى الامل يراخيه . قد أُعير كل شى حتى اخيه . قال الاول

كل شىء حتى اخيك متاع • وبقَدْرٍ تفرّق واجتماع

ايها الحزين الفاقد . ان ميّت غيرك كانه راقد . لا يردّ الجزع فتيلا . ولا يحيى الاسف من غدا بسيف المنية قتيلا .

ما ذا يَغِير ابنتىْ رِبْعٍ عَوِيلُهما • لا يرقدان ولا بُوسى لمن رقدا

ان غدر ريب الايام بشيخنا الفاضل ابى بكر. فكم للمنايا من فتك ومكر.

انما نعمة قوم سَعَةٌ ◆ وحيوة المرء ثوب مستعارْ

وكلنا فى الدار الفانية طليق اسير. لا يفتأ من السَّيْر وان اوهم انه لا يسير.

ان محلّا وان مرتحلا ◆ وانّ فى السفر اذ مضوا مَهَلَا 147

استأثر الله بالوفاء وبالـ◆ـعدل وولى الملامة الرجلَا

ولو كانت الدنيا عِرْسا لطُلِّقَتْ. ولكنها امّ املقت. يحبّها ولدها على العقوق. وتصدهم عن ادراك الحقوق. ما لنا ولك امّ دفْر. ما يقنعك هلاك الوفْر. اعييتنى بأشُر. فكيف بدُرْدُر. سؤتِنِى غانية. فكيف بك عجوزًا فانية. وهيهات ما اصابك الهَرَمْ. ولا البرم. وانما ذلك لابنائك الذين شربوا من إنائك. اما شمسك فطالعة غاربة. واما اجبالك فبالجران ضاربة. واما نبتك فيعود فى كل عام. رزقا للبشر وللانعام. لا يسلم عليك الملك ولا الصعلوك ما فعل عُروة الصعاليك. وابن جبلة المليك. ولو كان الحزن. مما يُوزَن. ثم وزن اسفى بثبير. لرجح به رجحان المُقْرم على الحَبير. فطفقت انظر الى من ضم الفَتَيان. من كل الفِتْيان. فاجدهم اضحوا رِمماً. كما صار العَقَد اشاً وحُمماً. توفى آدم صلى الله عليه وسلم بعد ما راى الجنة وسكنها. وسالته الملائكة عن اسرار الاسماء فاعْلنها. 148 وخرج الى الدنيا فشقى. ولقى من عنائها ما لقى. وفقد هابيل فهُبِل. وحسب انه من الوجد خُبِل. فكان موته صلى الله عليه نذيراً لكل مولود. الّا وَتَجَ الى الخلود. وقُبض نوح صلى الله عليه. زجر عبدة نسْر. واحكم سفينة بالدسْر. فنجا فيه من الغرق. وحمل آدم بعد خصف الورق. فى الواح سُيِّرْن. خوفاً على اوصاله اللواتى قُبِرْن. خشية ان يمحو اثرهن الماء. حين تبجّست به السماء. ولم يخلد عليه السلام وقد اتاه النبا من فوق. ودعا فيما روى للقمرية فحليت بالطوق. وبعده منذر عاد سُخِّرت له بامر الله الريح. فاصاب قومه عذاب غيره السريح. لحق به غير هِتْر. ما لحق آل عِتْر. فعدل بينهما داعى الهلكة الا ان هذا طُرِقَ زكيّا. وذلك قُبض عاصيا شكيّا. نسى ما غنّته الجرادتان. ومُنى بعارض غير الهتان. ونَبِيّ من بعد ذلك خُلقت له الناقة مع السقْب. وجرى فى النَّسَك جرْى الفرس ذى العَقْب. فنزل به امر دار. جعله فى القَدَر

كاصحاب قُدار . الا ان المنقلب متباين . ذاك الفائز وهذا الخائن . وصاحب النار 149
الموقدة التى برز منها سليماً . وما وجد حرّها اليماً . الا ان الحتف جمع بينه
وبين نمرود . فنعوذ بالله الواحد من عِشار النُوَب والعُود . واخو الظُلّة شريف
كريم . فى الرَّيْم اضطجع فما يريم . والذى راى النور فحسبه نارا . اسرى فكشف
عن بنى اسرائيل شنارا . وكره الموت ومَقَتَه . فلم يعْدُ اجلا وُقِتَهُ . من لا يخطئ
ولا يضل . يكبر عن الدنايا ويجل . وقارئ زَبور مكرم . فى عصر شبابه والهرم .
شاكل به اصوات الطير . ايثارا للرَّشَد والخير . وسليمان الذى قرنت له النبوة
بالمُلك . ما انقذه ذلك من الهُلك . ومن ادُّعِىَ له ردّ الشمس . وجب فثوى فى
رمس . وابن مريم عبده قوم . وانتُظِر لقدومه يوم . الا انه فارق أمّه . وما وَأَلَ
من بعض الامم ان تذُمّه . ومحمد صلى الله عليه وسلم جاهد فى طاعة ربه .
وانتصر لاشياع الله وحزْبه . ثم سكن فى يثرب حفيراً . وكان اكرم القوم
نفيراً . فهذا حال الانبياء السُعداء . فما ظنّك بالاشقياء البُعداء . وكذلك
الملوك . تاتيهم للمقدار الُوك . اما من تملك من العرب . فما اعتصم بايغال
فى الهرب . سبأ بن يشجب . أُسبل دونه الحُجب . وهو اوّل من سَبَى فيما 150
قيل . فسمى بذلك وزيد التثقيل . هُمز ولم يكن بالهمز حقيقا . مثل قولهم
حلّأت سويقا . واجتاز بالحرم وهو غاز . فما وَجَدَ به من مُناز . فراى قطينه فى
شدة عَيْش . من قبل النضر بن كِنانة ابى قُرَيش . فسالهم ما بال مقامكم فى
ارض شديدة المَرْس . لكم بها احسن عَرْس . فقالوا ان لهذا الحرم خالقاً يرزق
اهله . ولا يضيع احد عَلِق حبله . فسبحان الله العظيم رازق حَرَم وحِلّ . وضاحى
الهاجرة واخى الظِلّ . فلصق بصَعَر الملك ما قالوا . وعلم انهم لن يُنالوا .
فاحتجب ثلاثا ينظر فى احوال الملكوت . فقال الثالثة عن طول سكوت . لا ارى
شيا فى الفلك اعظم نورا من ام شَمْلَة فاجمع لها سجوداً . وامر بذلك اتباعاً
وجنوداً . وانما فعل ما فعل تقربا الى الله العظيم الذى لا يعرف له نِدّ . ولا
ينهض بعناده ضِدّ . فلما ازمع ان يرد حياض المنون رفع الى كهلان مِجَنّا
إحرازاً . والى حمير حساما جُرازا . فقال من حضر من اهل المملكة قضى لحميره
بملك وإمارة . ولكهلان بسياسة الوزارة . فغبر حمْيَرُ ملكا . حتى قدر له الصمد

مهلكا . والله الدائم بلا تغيير . وخالق البشر بلطف وتيسير . وما غبر الا وجه 151
الله العزيز ولم يذكر اصحاب السِيَر ملكاً من ولد حِمْيَر حتى مضت خمسة
عشر ابا . افنت فى الملك ازمانا وحِقَبا . ما غزت بلاد غيرها . واكتفت باليمن
ومَيْرها . فمات المائت وعاش العائش . وقام الحارث من بعدُ الرائش . فغزا
من جاور من الاعداء . وارتدى من المكارم احسن رداء . وسمّى الرائش لانه سبى
الآلَ . وافَاة المال . فراش به سكّان اليمن . وذلك فى شبيبة الزمن . ثم دعاه
لله داعٍ . فاذا مملكته كالسراب الخدّاع . وفى عصر الرائش هلك لقمن صاحب
النسُور . بعد ما شرب من الحياة آخِرَ السُور . وانما اصطفى الله لنفسه البقاء .
وحكم ألّا وِقَاء . ثم قام بعد الرائش ولده ابرهه . فمضت عليه البرهه . فما
رفع لقومه من شنار . ودُعِى فى حيوته ذا المنار . وانما دعى بذلك لانه كان اذا
غزا العدوّ نصب على طريقه منارا . حتى اذا رام محارا . امِن من الحيرة جيْشُه .
حتى إذا فنى عيْشُه . خرج من الملك سليبا . وسكن من الارض قليبا . فنسيه
الاحياء . وافترق عنه الاحباء . بعد ما سُرّوا بحِبائه . وملكوا الخُرّد من سبائه . 152
وما الحيوة الدنيا الا متاع الغُرور فتعالى الله قادرا . ما ترك وافيا ولا غادرا . الا
جرّعه كوس المنيه . وان عمر فى بلوغ الامنيه . ثم قام بعد ابرهة ولده اِفرِيقِس
غزا المغرب فابرّ . ونقل من الشام البربرْ . فاسكنهم . بحيثُ هُمْ . فكانوا بقيّة
من قَتَل يوشع بن نون . بالرملة وبلادها يسكنون . وبنى افريقية وبه
سُمّيت . ونفذت سهامه اذ رُمِيَتْ . ثم نزلت به شعوب . فرماحه لا تلتئِمُ له
كعوب . لقى من الدهر حدثا . فسكن باذن الله جدثا . ان الله من ورائهم
محيط . ثم قام بعده اخوه العبد بن ابرهة سبى النسناس . فلما قدِم ذَعَر بهم
الناس . لان خلقهم مغيّر . بذلك نطقت السِيَر . فلذلك دُعى ذا الاذعار . ثم
ارتحل عن ملك مستعار . بعد ما اصابه الفالج . وخلّجه من الفدر خالج . فاصبح
حديثا مسموعا . وكم حشر من الاجناد جموعا . فاذا الملك وجنده همود . قد
لقى ما لاقته ثمود . فلا اله الا الله يُفنى الامم وهو باق . ولا تقدر عبيده على
الاباق . ثم قام بعد ذى الاذعار هدد بن شرحبيل بن عمرو بن الرائش فما لبث
الا قليلا حتى هُدّ . فقصر ملكه وما مُدّ . وهو والد بلقيس فيما ذُكِرَ ثم واليها 153

رجع ملكه . لما احتُفِر وحان هُلكه . فغبرت مدة سليمان حتى اذا نُعى ولا
امان يُعْطاه الصادق ولا الكاذب . ولا ترد شيأ المعاذب . لبثت بلقيس بعده
يسيراً . ثم أُجَدّت الى الاخرة مسيراً . فسبحان الله القدير كل الناس بائد . فاين
العائد . ثم ملك ياسر بن عمرو بن يعفر ولم يك لاحد فيه من مزْعم . دعوة
ياسر اِلنعَم . لانه رد الملك بعد ما انتقل . فانعم بذلك وانقل . وكان قد خرج
عن ايديهم . وفُقِد من يؤذيهم . وصار الى سليمان عليه السلام وغزا المغرب
ياسر . واجتمعت اليه المناسر . فنهد بجيش كالرمل . حتى بلغ وادى الرمل .
فبعث جيشا فهلك . ما سلك احد حيث سلك . وامر بصنم من نحاس . فكتب
عليه ذو نحاس . من حمير بالخط المسند . لا منهب ورائى لاحد . ونصب ذلك
الصنم آية . ليكون للظاعن غاية . ثم اصاب الزمن ياسراً . فصادف سنانه
كاسراً . وكذلك فعل ربنا بالامم غير مذموم ثم ملك بعده شَمِر يَرْعَش بن
افريقس عاش ما عاش . وشكا الارتعاش . ونهض فى جيش لَجِب . فوطى العراق
وطاة المُنْجِب . واعتزم فى غزو الصين فقال اغد . فاجتاز بمدينة السُغْد . 154
فافتتحها ونسبت اليه . والله العالم بما لديه . وهى سمرقند واصلها بالشين .
فنقلت فى ما ذُكِر الى السين . ولم يُغنِ عنه ذلك قِبالا . اذ لقى من الموت
وبالا . فملك بعده ابنه الاقرن . وكل ما فى الدنيا درن . فلما نزل به امر الله
ترك ما بناه ورفعه . لو نفع غيره الملك نفعه . ثم قام ولد الاقرن تُبّع . وكل
الاقيال له تَبَع . دوّخ الآفاق وغزاها . واذلّ الجبابرة وخزاها . وهو لله ذليل . قام
بصغاره الدليل . لبث عشرين سنة غير غاز . ثم بلغه عن التُرْك نبا وهو
على السوء مُجاز . فظعن اليهم على طريق الانبار . فاوقع بهم عن غير
اعتبار . ثم رجع الى بلاده . والصين بعد ذلك من اعتماده . فغزاه غزوة ثم
رجع . وترك بالتُبّت بعض من جمع . فيقال انهم يعرفون بذلك الى اليوم .
يخلف بها قوم بعد قوم . ثم حضرته هند الاحامس . ولا بدّ لِإنسيّ من رامس .
ثم قام ولده اسعد . فدان له الادنى والابعد . ذلك ابو كَرِب . كم راش من فقير
تَرِب . واتبع آسان ابيه . وسلك طرقه الى محاربيه . وهو تُبّع الاوسط . ثقل
على حِمير وقسط . فكرهت زمانه لما طال . وجَنَف عليهم واستطال . فقالت 155

لولده حسّان . ورجت منه الاحسان . هل لك فى ان نقتُلَ اباك . ونجعلك ملكا يكْرَهُ شباك . فلم يُجِبْهم الى قتل ابيه . واتقى ان يسفك دماً لاقربيه . فالبّوا على اسعد فقتلوه . إما جاهروه بالمنية وإما ختلوه . ثم طلبوا جبراً قائماً . فرجعوا الى حسان لائماً . فعقدوا له التاج . فلما شمل امره الفجاج . لم يترك احدا ممن شرك فى قتل ابيه . الا قصد وقوده بشر تُخْبيه . وكانت حمير اخذت عليه موثقا . الا ينزل فى طلب الثار رَهَقاً . وحسان هذا فيما قيل وَطِئَ جَدِيسَ الوطء الثقيل حتى تركها حديثا . واصلها الثابت جثيثا . وذلك ان طسما إخوتها . اشتدّت عليهم نَخْوَتها . وكان لهم ملك محروس . تُهْدَى اليه من قِبَل عشيرتها العروس . فنهضت جديس الى طسْم . فحسمت ادواءهم كل الحسم . وقتلت جبارهم . فاستعدت طسم حسان فابارهم . وكانت اليمامة يومئذ تدعى جوّاً . فلقيت من سخط الملك نوّا . وكانت فيها امراة اسمها اليمامة وهى الزرقاء . لبصرها على ما بعُد إلقاء . فطلعت يوما فى مُشترَف . 156
ومن قضاء ربنا كل المُستطرَف . فقالت لقد جاءتكم حِميَر . او سار اليكم الشجر . فقالوا ما ترين فقالت ارى رجلًا يريد لكتفٍ اكلًا . او يخصف بالشجر نعلًا . وكان حسان امر جيشه ان يقطع كل رجل منهم شجرة . فيحملها بين يديه جُنّة محتجرة . حاول بذلك التلبيس . حتى يبلغ كيده من جديس . فكذبوا اليمامة بما اخبرت . فصبّحتهم الكتائب فهبرت . وسُمِّيت جوّ اليمامة باسم المراة وكرهت حسان الاقيال . وبدا لها منه زيال . فاختلفت الى اخيه عمرو . فسألته من قتله افظع امر . فاجابهم الى ان يقتل اخاه . فأبات لنفسه شرّاً وسخاه . وكان فى حمير رجل يعرف بذى رُعَين . قد جرّب كل اثر وعين . فزجر عمراً عن قتل اخيه . والله العالم بما يخيه . فابى عمرو غير مضا . والله مصرف القضا . فقتل عمرو حسان . وحبّ العاجلة يغرّ الانسان . ففقد عمرو نومه . ليلته الكاملة ويومه . وكانت حمير تزعم فى ذلك الزمن ان من قتل اخاه . منع نومه وان توخاه . فشكا عمرو ما لقى من السهاد . فانباه بعض الاشهاد . انه 157
لا يقدر على النوم . حتى يلتهم غصراء القوم . الذين بقتل حسان امروه . اوردوه الماتم فما اصدروه . فامر الملك مناديا ان يعلن ان الملك يريد ان يعهد

غدا عهداً . فاجتمعوا الى الوصيد حشداً حشداً . فامرهم فأُدخلوا ثُبات . فلسّهم بالصوارم كلسّ النبات . فلما دخل ذو رُعين ذكر الملك بعهده . فامر باكرامه ورِدْه . واضطرب على عمرو امره . وهمّ بالحمود لهبه وجمره . وضعف عن الغزو فهان . وسمّى بذلك مَوْثَبان . لان الوثوب فى لغتهم القعود . وللبشر نحوس وسعود . وحمّ القدر . فاذا هو كغيره مبتدر . ثم ولى بعده عبد كُلال . والله المتفرد بالجلال . وكان فيما ذُكر مؤمنا . آمن بعيسى عليه السلام متيمّنا . ثم شَجِبْ . فكانه ما رُجِّب . ثم ملك تُبّع بن حسان وهو تبع الاصغراخر من دعى تُبّعا . فنهض الى الشأم متتبّعا . فدانت له املاك الشام . واذعنوا لامره بعد الاحتشام . ونهض اليه من يثرب شاك . فحكى عن قريظة وبنى النضير عملا غير زاك . فاعتمد يثرب . فقتل من يهود المفتقر والمترب . 158
فقام اليه رجل منهم قد اسنّ . واشبه من التقادم الشنّ . فاخبره انه لا يقدر على اباده طَيْبَةَ لانها مهاجر نبى من ولد اسمعيل . ومن ابتغى لها شراً عيلَ . فسمع ما قال الرجل غير لاح . وانصرف الى صلاح . فكسا البِنْيَةَ مُلاءً معقداً . ونحر ستة الف عدداً . وانطلق الى اليمن فدعا اهلها الى ان يتبعوا دين يهود . وشهد ربك الغيب والشهود . ثم نزلت به ام اللُهَيْم . فسكن بعدها فى رَيْم . ثم قام بعده مَرْثَدْ . ولا يدوم للدنيا رَثَدْ . ثم ملك بعده وَلِيعَه . فجاءته للحوادث طليعه . ثم ملك ابرهة بن الصباح . واىّ حِيٍّ ليس بمباح . ثم قام حسان الذى ولَدَه عمرو . وانتشر بعده الامر . وغلب على حمير . شتات غمر . ووثب على الملك المهمل ذو الشناتر . فلبس اثواب الخاتر . فلما خان وغدر . وركب من الجهل السَدر . قتله الملك ذو نواس . فما وجد لِكَلْمه من أواس . وولى بعده قاتله . ومن سلم كان القَدَرُ خاتله . وانما يخلد الله قديم . نزل امره بالجندل وكانه السديم . وكان ذو نواس مارداً . على دين اصحاب السبت حاردا . فحفر الاخدود . واضرع للخدود . وامر بتحريق اناس . 159
دانوا بالانجيل وجعلوه كالنبراس . فعمد ذو ثعلبان للحبشة حتى ابان ما كان من امر الحميرى . لملك من حام قيصرىّ . فجهز اليهم خميسا . اوقد لهم من القتل حميسا . وانهزم ذو النواس حتى جاء البحر بفرسه . فدخل فيه

خوفا من ملتمِسه . فكان اخر العهد به . والله العالم بمستقره ومذهبه . وملك بعده ذو جدن . وكم اتخذ من قصر وفدن . فلما ارهقته الحبشة بالسيف . صنع كما صنع ذو نواس جدّ اسيفْ . فهذه ملوك حمير نزل بها الحَين . فما رات منهم عين . ثم استولت الحبشة على صنعا . فرعوا اليمن اذ لا رِعا . وقام منهم ارباط باديا . وقتله ابرهة حنقًا صاديا . وعمد الى البيت بالفيل . فكان الله بهلاكه انجح كفيل . ثم ولى بعده يكسوم . وكل للحوادث يسوم . حتى اذا فَنِيَ وجاء مسروق . اذا هو بموت مطروق . رماه باسهم الفارسىّ . فاذا هو للهَلْكَى سِىّ . واستولى على اليمن سَيف . ولم يسلم جبل ولا خَيْف . فاستخدم من الحبشة قوماً . وخلا من الحشم يوماً . فرموه بحرابهم فقتلوه . حقدوا عليه ما صنع فبتلوه . وهل يخلد احد من البشر . او ينجو الخير من 160
الشر . ان الله حكم بالفناء . بعد اطالة النصب والعناء . واما ارض الشام فاوّل من كان للعرب سَلِيح . وكل من القدر خائف مُلِيح . فكان اول ملوكها النعمن بن عمرو . فما ثبت له من امر . ثم ملك بعده ابنه مالك . وهو فى مسلك ابيه سالك . ثم ملك عمرو بن مالك . والى زوال كل الممالك . الا ملك الخالق فانه لا يزول ولما خرج عمرو بن عامر . من مارب حذار السيل الغامر . وجّه ثلاثة من بنيه رُوّادا . امّل ان يراهم عُوّادا . فمضت الثلاثة ومعهم جماعه . ولكل فى الخير طماعه . فهلك ابوهم عمرو . قبل ان يرد عليه منهم امر . وخلّفه ابنه ثعلبه . ولامر الله الغلبه . وكانت الاسد قد نزلت بلاد عك . تلتمس بها اماطة الشك . وكان بعك ملك يُعرف بسَمْلَقه . فعمد له جذع بن سنان الاسدى بشر فعَلِقَه . وقتلت الاسد عكّا . واخذت مالاً غير مزكّىً . وخرجت عك هاربه . تجوب الارض الواسعة ضاربه . فكره ثعلبة بن عمرو . ما لقيت عك من سوء القمر . فحلف انه لا يقيم . فارتحل والملك عقيم . حتى نزل 161
تهامة بمن معه . فقاتل جرهم بمن جمعه . فغلبها على البيت . ولا بد لحىّ من مصرع ميت . فلبِثت خُزاعة بارض الحرم . وهى اهل ملك وكرم . حتى جاء قصىّ بن كِلاب . فجمع قريشا بين السهل واللاب . وغلب خُزاعةَ على الملك . وما انقذه ما فعل من الهلك . وقدمت غسان وهى اخوة خُزاعة ارض الشام

فغلبت بنيها من سبقها . ولما شاء الله تعالى اوبقها . وملوكها المذكورون
اوّلهم الحارث الاكبر. لحق بمن مضى فصار يعتبر. بعد ما اضطهد وارتقى . وحرّق
العرب فدعى مُحرّقا . وكان يُكنى ابا شِمْر . وكم قتل من شجاع ذِمْر . وابنه
الحارث . ورثه منه وارث . لحق بملك الحيرة عقوبة اليمه . والحارث هو ابو حليمه .
ضرب بها المثل ضارب ليس بغِرّ. فقال ما يوم حليمة بِسِرّ. يعنى اليوم الذى
قُتِل فيه ابنا الحارث من بعد جِلاد . ورمى المُنذِر بن ماء السماء بالنآد . وكان
سار غازيا ارض الشام . فى مائة الف تعصف بكل خُشام . فجهز اليه الحارث
مائة غلام . حيلةً على المنذر من غير ملام . وامرهم ان يخبروه . انهم قدموا
162 عليه كى ينصروه . فكانوا وَفْدَ هلكه . انتزعوه تاج المملكه . وفي تلك الوقعة
قصد الحارثَ زياد . فساله فى اسرى اسد وعليهم الصفاد . فاطلقهم للنابغة
إكراماً . فبلغ من بقاء الاحدوثة مراما . وسأله علقمة فى شاس . وقال بيتا
غبر فى الناس . وكم قيل فى الحارث من بيت شعر مروىّ . وشِعْر بُنِى على
روىّ . وهو ابن مارية التى ذُكر فى المثل قُرطاها . ما خطاه التلف ولا خطاها .
وابنه الحارث الاصغر ملك فخلف اباه . ثم اذلت الايّام إباه . فهولاء ثلاثة املاك
بعضهم من ولد بعض . تساوت اسماؤهم ولم تمض . فاما الشخوص فانها
غائبه . والانفس الى ربها آئبه . ومنهم النعمن بن الحارث امّل النابغة له
رجوعاً . ووُجِد بموته مفجوعاً . وهو ابو حُجر الذى آب بالعين الجلية مُصَلّوه .
وغادروه بالجولان وقد مَلّوه . فدعا الذبيانى لقبره بان يُسقى وابلا هتانا .
فينبت زهرا وحَوْذانا . وذلك لعمرى جُهْد مقِلّ . ولا موئل من السقطة لكل
مستقلّ . ومن ولده النعمن سميّه وعمرو . جرت فى الكؤوس لهما الخمر .
فكلاهما سكن رمسًا . فما شعر مصبح اين امسى . ومن غسان عمرو بن
163 الحرث الذى اثرّ النابغة بالنعمة له ولابيه . وكان لمدحه يجتبيه . ومنهم
الأَيهم ابو جَبَلة . امن فى المُلك الابَلّه . ثم احتسى الموت وتجرّعه . وعلاه القدر
وتفرّعه . وابنه جبلة اسلم متحنّفا . ثم لحق بالروم انفا . ونبوّه معروف . ومن
الذى عدته الصروف . فهذه ملوك غسان . تبعوا من المَوْتَى الأُسّان . فكلهم
حديث محكىّ . والله العالم من الزكىّ . ملوك الحيرة اوّلهم مالك بن فهد

الازدى . طالما عُمِرَ به الندىّ . ثم اصابه للقدر سهم . فما لحقه من الناس
وهم . ثم ولده جذيمة . والمنيّة له وذيمه . كان يقيم بالانبار زمانا . ويُلِمّ
بالحيرة من الدهر اوانا . وكان لا ينادم احداً الا الفرقدَيْن . تكبراً عن مجالسة
اناس فى الأبْرَدَيْن . وكانت اخته تُدعى ام عمرو . وكان اقرب الحشم اليه عدى
ابن نصر . فثمِل فيما رُوِى . وذلك انه من الراح رَوِى . فيقال انه زوّج اخته
عديّا . فباتت فى تلك الليلة هديا . فلما اصبح جذيمة خُبِّر . فندم بعد ما
حُبِر . وساء على عديّ خُلُقه . فامر ان تُضرب عُنقه . وولدت اخته عمرو بن
عدىّ . فكرم عند الخال الاسدى . فلما صار غلاما يَفَعَه . ورجا به الاهل
المنفعه . ركب خاله فى صيد . وسار عمرو سيراً غير رويد . فضلّ فى بلاد الله 164
الواسعه . وغبر مع الوحش الراتعه . فردّه الى اهله . من بعد ما ضرب فى
جهله . ندمانا جذيمة عقيل ومالك . فاتيا به والشَعْر فى الوجه حالك . فقال
جذيمة فعلتما خيراً فاحتكما . فاختارا منادمة الملك ما سلما . فنادماه
اربعين سنه . ما ردّا عليه احاديثه الحسنه . ثم خدعته الزبّاء . وقد شُهرت
عنه الأنباء . وملك بعده عمرو . وفرط من قصير امر . فيقال ان عمرا هو الذى
بنى الحيرة وخطّها . ودامت المملكة له ثم اشطّها . عنه قدر أماتَه . فندم
على نُسك فاته . وملك بعده امرو القيس ابنه . ولا يعجّل أفيناً افنه . ويقال
بل ملك بعد عمرو ابنه الحارث محرّق . وكل ملك الا ملك الصمد متفرّق .
وملك بعد امرئ القيس ابنه النعمن الاكبر . بنى الخَوَرْنَق وفى الدهر غبر . ونظر
دوما وقد فكّر . الى الخورنق ومالك آشتكر . فقال اكل ما ارى الى فناء . قالوا
نعم من بعد عَناء . فخلع نفسه من المملكه . وطلب وجه ربه قبل الهلكه .
وقد ذكر ذلك عدى بن زيد . وكل درّسُف من الزمن فى قيد . وولى بعده
اخوه المنذر . وكلنا من الله حذِر . وامه ماء السماء . لم تنج بطهارة الاسماء . 165
فسار المنذر الى الشام فقتله غسان . وملك ابنه المنذر وفى إساءة الزمن إحسان .
وسار المنذر طالبا ثار ابيه فلقى من الحارث . نبأ فى الزمن جِدّ كارث . وقُتِل
وهو للثار باغ . وذلك فى عين أُباغ . وملك اخوه عمرو بن هند . فما اعتصم
بجبل ولا فِنْد . وقتله بامر الله ابن كلثوم . آثِمَ او لبس هو بمأثوم . ثم ملك

النعمن بن المنذر. وكان فى حزمه غير مُعذِّر. وكان الذى عُنِيَ به عند كسرى حتى ولاه. وترك اخوته وما ابتلاه. الشاعر عدى ابن زيد. فجعله بعدُ فى قيد. وهلك فى السجن عدِيّ. ولا احد فى الدنيا مقْدِيّ. فوشى بالنعمن ولد عدى بن زيد. حتى اصابه من كسرى كيد. وطُرح ابو قابوس. فى بيت الفِيَلَ ليلقى البوس. وفنى ملك آل المنذِر. وليس القدر من ذلك بمعتذر. وجعل كسرى على الحيرة اياس بن قبيصه. وجاء الاسلام فرفع النقيصه. وهلك فى عين التمر اياس. ورثاه زيد الخيل اذ جمعهما نُحاس. كلاهما فى طيّء 166 نسبُه. ولا يُخلد حسيباً حسبُه. ملوك فارس وامرها قديم. لقد فُرِىَ منها الاديم. دارا قتله الاسكندر. فاذا دم الملك هَدَرٌ. ثم قامت بعده ملوك الطوائف. والبشر من مولود وسالف. فلما انقضى زمانهم خلف على المملكة ازدشير. وهو برد المملكة الى الفرس بشير. ثم هلك وقام سابور. ويطعمك إتاءه النخل المابور. ثم قام بعده هرمز. فلمزتْه فى الراى اللُمُز. ثم خلفه بهرام سمى المريخ. فما وُجِد له من صريخ. وكذلك بهرام الثانى. نظرت اليه نُوَب الرّوانِ. وقام بهرام الثالث. والزمن اذا سرّ مالث. ثم قام ملك يوسى. ويقال ان سمته نوسى. ثم خلف هرمز ثانٍ. واى ملك ليس بفانٍ. فهلك وترك سابور حمْلا. ولقى بعده المُلْك خبلا. ووُلد سابور ذو الأكتاف. وانبازه غير خاف. وقام بعده ازدشير. فأشار به الى المنية مُشير. ثم قام سابور فعدل فى الرعيّه. لو كانت نفسه غير نعِيّه. ثم قام بهرام بن 167 سابور فكان من ذهب خَلَفا. ولكنه لقى تَلَفا. ثم قام يزدجرد وكان فيما ذكرت الفرس جافيا عليها متكبراً. ولا يُغفل قدر الله متجبراً. فرمحه فيما قيل تَرِسٌ. فانتفض ذلك المَرَسْ. ثم قام بعده ابنه بهرام جور. وهل فى الارض ملك لا يجور. ان الله جعل الظلم غريزة فى الانس. وسلّطهم على كل جنس. انوشِرْوان. كان قصره من بعد القصر الإِران. قباذ. جبذته من الدهر جَبّاذ. كسرى ابرواز. عَمِر وما له من مواز. ثم هلك. فكأنه ما ملك. بوران ابنته لما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم خبرها قال لن يفلح قوم اسندوا امرهم الى امرأة وكم من ملك عجمىّ وعربىّ. فُقِد فَقْد العاجز او الأبىّ. فهذه

السبيل اخذت الملوك . فما تقول السوقة او الصعلوك . والكرام . ما عدل
عنهم الاخترام . اما حاتم . فاصطفقت عليه المآتم . واما كعب بن مامه .
فراى من اعلام الماء سمامه . وهلك فى الارض اليهماء . وآثر اخا النمر بالماء .
وفرسان العرب وشُجْعانها . ما أخطأهم رِماء النُوَب ولا طِعانها . ما فعل
عُتَيْبة بن الحارث اخو يربوع . وكان فى الحرب جد متبوع . اتيح له ذواب
ابن ربيعة بخوّ . فالحق به يوم سوّ . بسطام بن قيس غزا ليدفع جليفه .
فقتله عاصم بن خليفه . عمرو بن معدى كرب قُتِلَ بنهاوند . رَدِى شهيدا 168
فكانه لم يَرْد . عنترة بن عبس . لقى من اسد الرهيص ساعة إِبْس . السُلَيْك
ابن السُلَكَة قتله بنو حنيفه . ولا عبد من القدر ولا أُنِيقه . عامر بن الطُفَيْل .
هلك بالغُدّة وهلك بالحمى زيد الخيل . الا ان عامراً . قُبض كافراً . وزيدا
وفد على النبى . صلى الله عليه وسلم وبايعه بيعة مِفِرّ ابىّ . خالد بن
جعفر قتله ابن ظالم فى جوار النعمن . فاعجب لتعاقب الازمان . وكم ذهب
من شجاع فارس . كان لِقِرْنِه أىّ ممارس . ومن اذكر من المفقودين فما اذكره
باستقصآء . انما اصفه على انتصآء . وقد علم سيدى ادام الله عزه ان ريب
الدهر لا يغفل عن ناحم . كَنِى ابا المزاحم . راعت به الملوك اعدآءها . وآثرت
بنصره اودّآءها . يطأ البسطة بعمد شداد . ويفرق بين اهل الشنف والوِداد .
جاء للحرب فارداه الثقفىّ . ولو بقى لعمف به زمان سَفِىّ . وقد رَدِى بكَفّ
المهلّب . شبيه له قَدِم الطلب . ولو عَمِر حىّ سوى الله عُمْر الانجم ذاجيا من
كل غيلة وختل . لكان كما قال رُؤْبة رهن هَرَم او قتل . ولا يفلت من مخالب
الإيام اسد ورد . ليس من طعامه السحم ولا المرد . ولكنه يفترس كل شارق . 69
صيداً لا يغتاله فعل السارق . ولكنه يأبِس . ويحتبِس . كانّ مقلتيه جذوتا
حريق . بل نارا فريق . اذا احسته العانة ولت نافره . واذا آنسته الرفقة ذَعَر
السافره . يقوت باخوف موضع . شِبْلَين عند حصاء مُرْضع . فكم لديه من
فريس . صاحب خلق دَرِيس . فجع بكسبه ايتامه . وصرفه عمّا كان آعتامه .
عاف صيد الوحش فتركها . واستطعم لحوم الانس فاستدركها . فاذا ابطا عنه
ركب غاد . طرق حانيا وهو عاد . فالواحد له اكيل . ونضيع الرجلين عنده

بكيل . كان في رُبّان عمره يهلك به الظليم الاصمّ . ولا يعتصم منه الاعصم .
وكم هجّر الى ثلّة آمنه . فاخذ خيارها لعرس داجنه . وكم فتك بجائر عند
عشى . وآب الى عياله بِسَبوب وحشيّ . او علج أقرْ . ورعى الروض الاذفر .
والظبى عنده حقير . انما يقتنصه ذؤالةُ الفقير . فاجتاز به وهو رِيبال . رجل
في ايديه القسيّ والنبال . فوثب الى مارد فاعتنقه . وفرى جسده ومزّقه . فرمته ١٧٠
تلك العصابة بمعابل وقطاع . وهو يظن انه ليس بمستطاع . فجعلوه بسهامهم
كابن انقد . فمات وعندهم انه قد رقد . حتى اذا بان امره اخذوه بسيوفهم
من الحَنَق . وفارق عيشه ذا الانق . وطالما اقتسر وقيل قسْور . وساوَرَ ومن
صفاته المِسْور . او نهد له امير في خيل . فوجده جاثماً على الغَيْل . فطُعِنَ
برماح مُشرَعه . ورُمى من البَغْى بَمصْرَعه . او نجا من ذلك . واولائك . فلفظ
نفسه من الهرم . ورضى باللفاء من الرزق بعد الصيد الاكرم . ولا يُشوى حدثان
الدهر حسن الديباجة من النمور . عوّد نفسه طول دُمُور . فالرُعيان من طُروقه
ذُراع . والابرار الى اثار كلومه سراع . اتيح له في بعض التطواف . وافٍ
للضائنة او غير مُتواف . فاثبت بقلبه الّةْ . وكفى هجومه الثلّةْ . واخذ اهابه
بعد عِزّ . فغُشّى به مركب جبان مُرز . وما ابو جعدة من الدهر بناج . وان
بلغ امله من الرّجاج . ما زال يختلس من الفِزر فَررا . وينفض من العُمْروس ١٧١
مريرا . وتطرده حوامى السيد فيفوتها . ويظفر باكولة الحافظ فيفوتها . ويحافظ
على اولاد ام عمرو . بعد ان تشرب من المنيّة مُسكرا ليس بخمر . فيضيف
عيالها الى عياله . ويغذو اطفالها بما جمع من احتباله . يشقى تاره لانه ضائع .
ويُغْبَط بذى بطنه وهو جائع . يحسب انه ولغ دماً . ولعله ما عدم عدماً .
وربما ضاعت له الغنم فنعِم . واصاب غفلة من رب الشاء فطعِمْ . وسَغَبُه اكثر
من شِبَعه . وظموه مقرون بطبَعه . الا انه رضى تلك العيشة على شفائها . ومن
لنفسه البائسة باتقائها . فرَاى غلاماً غير سَفِيه . قد انفرد بغُنيمة فطمع
فيه . ورب كِلام . في سِهام الغُلام . فلما اغار اوس . والحزوّرُ بيده القوس .
فوّق اليه احدى حُظَيّاته . فجعلها في مُختَلَف أُمنياته . فيَتِمَ اولاد اوس .
وفقدوا منه اباً صاحب فطنة وكيسْ . واما الصَيْدَن . فان المنيّة له ديدن . مات

حنف الانْف . او صادة من وراء معلّق الشّنْف . ابو عيال جعلة قِراهم . فدفعوا بة السّغَب لمّا عراهم . او صبّحة كلبٌ ضار . فاحْضر خلفة اشدّ الإحضار . فاخذة اخذ أرِبٍ . ما سلِم بشدٍّ ولا تقريب . او جاء سبيل متدافع . ونُعالة فى وجارة شافع . فحملة السيل وعِرْسَة . فاصبح غريقاً فقدَ جِرْسة . كانة ما ضج ١٦٠ سروراً بنبيلة . ولا اصاب من اسد فضول الأكيلة . وكم أشِرَ فى مَرْوٍ . ثم نقل اهابة الى فرو . وكذلك تعاقب الايام . تُبْدِل الريّان بحيام . فما وَأَلَ سمسم بالنَكْرَاء . ولا حُشاشة ضَبُع القُفّ الغَثْراء . والحُززُ فرق بينة وبين العِكْرشة حِمام يختزة . فما نفع ام الخِرْنق دُعاؤها إذ تقول اللهم اجعلنى خُذَمة لُذَمة . اسبق الطالع فى الأكمة . مُنِيَت بغارى حِبالة . فإذا بها فى البالة . او مُترف بَكَر لاءٍ . قلبة بالقَنَص مُولَعٌ ساءٍ . فآسد عليها بالقردد . كل ضَرِمٍ للصيد معلّد . او ارسل عليها صقورا . تترك قراها مفقورا . او انقضّت عليها اللِقْوة . فلحقت البائسة شِقْوة . وهل يعتصم من قضاء الله علج وحشىّ . مرّت بة غداة وعشىّ . وهو ارن ليس بجحل . يخلط شحيجة بالسجيل . لة جَدائد ثمان او خمس . ما وطؤها بالجدد همس . رعَيْن بفلا وسْمِيّاً . واطّردن صِلالاً وسُمِيّاً . وطارت عنهن العمائق . ونفضت منهن الخفائق . حتى اذا يبس عميم روض . تتبع بهاء اثر كل نوض . فلما طلعت الهنعة او الذِراع . وهن الى المورد سراع . اوقد ناجِرٌ من ١٦١ الغُلل جَمْراً . وذكرن موردًا غمرا . فوردن وقد طلع ذنب السِرْحان . وكلأها دالعدر حان . فى بدة صفراء تَرْنموت . كانها تقول للرمِيّ مُت وَتِبّكَ فيموت . تخيّرها طِمْلٌ عبسى . او آخرمن كهلان سنبسى . تردد اليها وهى حظوة ذابتة . والحُظوة لة فيها ثابتة . ينقل اليها فى القيظ المآء . ليقصر عليها الاظمآء . حتى اذا كمل عودها وتم . وصلح للطريدة عمد وحمّ . غدا علىها فاقتضبها . ما اعجلها بالخُرق ولا اغتصبها . وجعلها فوق عريش فى الخباء . ومَظّعها فى ذلك مباه اللحاء . ثم وضع عليها المبراة . حتى اذا اعجبت البراة . حضر بها بعض مواسم العرب وغرضة ان يعرف قيمتها . لا ان يبيعها من ياكل وقيمتها . فأُعطى بها اديم وبرود . وهو بها فى الناس يرود . فابى ان يصفِق . وكرة ان يُخفق . فزيد لما خوطب على ذلك . فظن بيعها من المهالك . وانصرف بها الى شريعة .

فجلس للوحوش السربعه . فلما كان فى اخر الليل وردت الاتن جَمّة العَيْن 174
وامامها كُدَرٌ عَذام . قرُب منه الحتف الهذام . فرماه مُطعَم وَشيق الاوابد . فوُصف
بفارس او كابد . فعند ذلك صرعه . فبعدت الحلائل عن اليف صادف مصرعه .
ونهض اليه ذو مصْدَق . نقله الى العيال النَرْدَق . فلحمُه رشيق وصفيف . وإهابه
الى القارظ حميل وزفيف . ونظيره فى لقاء المنية ذيّال اخنس . يراع ان رآه
الانس . غبر زماناً طويلاً . لا يجد فيه الصائد حويلا . فلما رعى مصاب
الاشراط . وحيّته القُريان بزَهَر غاط . وزعل فى يوم راح . سليم الادم من الجراح .
فالجأته الشمأل الى سدرة قاصيه . ليست للسدر بمناصيه . وبات ليلة يشكو
الصرد . والسُحُب قد نفضت عليه البرد . صبّحه القانص باكُلُب . مدركات
للوحش طُلُبْ . شديدات العِرَاك والمرس . كان عيونها نوّار العَضْرس . فى
اعناقها العذب . والطرائد بها تُعَذَّبْ . فلما عاينها انصرف موليا . يظن فى
القَفْرة شِهابا مُوَلّيا . فلما امعن فى الطَرَد . كرّ فى خوف وصَرَد . فطعن بِمطْردين .
نبَتَا فى راسه منفردين . فتفرّقن عنه وله الظَفَرْ . واجزاؤها على الطريده معفّر . 175
فلما ايقن بالسلامة عارضه إسوارٌ فارسىّ . هو بسهامه سَجِيرٌ او نَسِيّ . فعاد
معه ذبٌ الرِبّاد . الى المُقْتَاد من بعد الذِياد . وليس الحين بغافل . عن الطالع
ولا عن الآفل . ولله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون . وكذلك
عرسُه الخنسآ . لا يدوم لها فى الدهر نسآ . وربما سُلّط على فريرها طاو . من
السِراح المارِدة خبيث غاو . فصادفها فى ارض فلاه . وهى فى بعض الغفلات .
ثم اقبلت كى ترضعه . فما وجدت الا دمه واكرعه . فلبثت ولْهَى ثلاثاً او اربعاً .
ثم راجعت رِيّاً وشِبَعاً . فانساها ذِكْر فريرها . ورضيت باستمراد مريرها . لو غفل
عنها الزمن لما ذمّته . ولكنه رماها بالغيّر وما رمته . ولم ينج من سطوات
الاقدار . ظِبْى لا يستتر بجِدار . يرود فى مليع خلاء . ولا يبيت بين شيح
والاء . وانما يدّمّن بلاداً ذات سمُر واراك قد امن فيها اخذ الاشراك . يجيئه من
الله الفائل . وقد نتات عنه الغوائل . فهو يتفكّه فى كَبات وبربر . قد اتخذ
كناسا بسربر . فالمَرْد قد غيّر فاه . مثل ما لميت الشفاه . فهو آدم وحوّاء . فى 176
جنة لو دام لهما الثواء . وليسا لابوى البشر مثلين . وان وافقا اسميهما فى

الصفتين . فبينا هما فى عيش صفو . كدّر عليهما القدر انيق العفو . فبُعِثَت اليهما الحيّة . وبها لآدم صلى الله عليه قُضِيَت الغَيّة . فالفت الغرير مغترّا . فى ظل ايكة لم يتّق شرّا . فاصابته المُغوية بناب سميم . واذاقته حماماً افرده من كل حميم . فكانّه لم يرتع بارضا ولا جميما . ولا تنسم صبأ رميماً . فعادت صاحبته لفقده شاحبة . ثم طال الامد فعُدّت لغيره صاحبة . ولا بد لنفسها من تَلَف . يلحق الخلف بالسلف . وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور . وما رقدت عيون الحوادث عن ارْبَدَ صعْل . غَنِيى عن الحذاء والنعل . لا يشرب فى شريعة ولا قرو . يجتزئ بالشرى والمرو . كانّه انا رتع فى التنّوم . عبد من الحبشة لا من الروم . ليس بمسوّر ولا منطّف . ولا يزال فى قرطف . يخاطب إلفه بالنقنقة والعِرار . ويوضع بيضه على غرار . ويلحقهن ريشه فلا يأذيْن . ويسقيهن زاجلا حتى يرْوَيْن . اصمّ لا يسمع قيلا . ما يحمل راسه من الكسوة خفيفا ولا ثقيلا . هَيْق لمّاح . كانّ راسه جُمّاح . لا بدّ له من حتف يونفه . 77،
يفر من خشيته ولا يسبقه . اما بسنان فارس . او نازلة من الدّهارس . من ذلك انه كان يتبع مرعى . فى نعائم بوادٍ صِرعا . فآنس عارضا همهاما . لا يكون مثله جهاما . فبادر بوَهْدٍ اطفالا . ما لبسن من الريش جُفالا . فاصابت منكبه صاعقة . فاذا المنية به ناعقة . وما حيض سهمُ الحدثان عن اعصم ابى اغفار . كان من الانس شديد النفار . يرود فى قان وعُتم . ولا يخاف على ولده من البتم . وبرد خَصِرًا ليس بطَرْق . جادت للمداهن به ام البَرْق . فهو ازرق شديد الصفاء . ليس على الواردة به من خفاء . يروق عين الريّان بترقرق . فما بال الظمآن صاحب التحرّق . لما طال مكثه فى نِبق . يكون دونه وكر السوذنيق . اطرد ماليك اسوارا . ما زال يصرع بسهامه صِواراً . فالجأه فقر وفزع . الى سامية عليها القَزَع . فلما اتصل فيها طَواه . وعلم ان ربه قد اغواه . رمى الفادر فاصاب كبده . ونهض ليزيل وَبَده . فاخذ المدية فبقّعه . واوقد ناره موضعه . فاكل من بضيعه قليلا . وانصرف وتركه مليلاً . وكذلك 78،
المُغفره . لا تكمل عندها الفِره . سلكت مسلك مُسنّ حلّ عن الزلبل . فاستويا فى الامر الجليل . والغُفر معهما ليس بناج . سوف يهلك بعدر شاج .

وما زلت اقدام النوب . عن قرم مُصْعَب . ليس بلهيد ولا مُتْعَب . ودّع
في اذواد كرائم . صرمن الزمن ما بين صرائم . يبكرن لاراك وهَرْم . وراميهن
من البشر كمن لم يَرْم . تذاد الاعداء عنهن باسنّة . ويُمْسك دونهن بالاعنّة .
قَنِيَ ذلك المقرم فصار تِلْبا . وما حمل من كُور جِلْبا . وشرب من الاجل ما
انساه مُرارا . بعد ما غَنِيَ ولا يحذر غِرارا . او لقيه دون ذلك اجل متاح .
ما فَتِيٌّ بمثله الزمن يرتاح . نزل بربه ضيف طارق . في عام كذب فيه
البارق . ومعه ركب مدلجون . اموا ذلك الرجل وهم يرجون . ان يعترفوا لديه
عُرفا . يصرفون به من تلك السنة صرفا . فاراد ان يبنى مجدا لصغار . بُضيفه
الى بُعْد مُغار . فراجع نفسه النِفاس . ثم نهض الى القرم فكاس . ضربه
المطروق بصارم . فاخترمته احدى الخوارم . فجعل سَدِيفه رهنا للقِدر . وخبأت 179
منه لويّةً ذات الحذْر . وصيّر نَحْضه فى جِفان . تُملأُ لكرامة الضيفان . وسواء
على من صادف مصرعه في اىّ طريق لقيه . قد توقاه فما وُقِيَه . وما توسّنت
اجفان المنية عن جواد يعبوب . ينسرح مع الريح الهبوب . يقابل الناظر
بحسن جديد . ويحمل الذهب بالحديد . فضفاض الاهاب . ننتهب الطَلَق
اى انتهاب . له حجول من فِضّه . وحافر من الزبرجد ما نُزّه عن كسر القِضّه .
ما خُلِقَ نطيحًا ولا مُغْرَباً . ومتى صهل هاج طربا . كان نُؤثر بقبوق وصَبوح .
ونُفتقد عند هده النُبوح . تقصر عليه في المشتى أيانِق غِزار . وتعرفه بالسبق
نِزار . صُبِّح بَغارةٍ مالكه . والدهر لا تُدفع مهالكه . فطُعن في النحر بِخِرْص .
فَرِدِيَ وربد دامى الثِرْص . فكأنّه ما سبق . ولا اغتبق . وما تغاط اقدار الله
السابقة بالتجاوز عن شَغْواء طلوب . لعواسل المهمه الى الوكر جلوب . تؤهل
بها رضْوى او تدوم . وكان خطمها قدوم . فغدت يوما في فِرّه . تنفض عن
جناحها ضريب السَبْرة . فرأت على الشحط غزالا . فارادت ان تضرب به على ١٨٠
المُقْعَد هُزالا . فخانت تأمل درْك خير . فدحض عنها الظفر بالمَيْر . ومرّت
على زَنْد ناب . فاعنت جناحها باختناب . فسقطت وهي برمقٍ . في الارض
الَحزمَة او الغمقْ . فاقبل عليها ثعالة وطالما ازهقت نفسه . واثكلته ولده

وعِرْسه . فجعل اشلاءها للعيلة قوتا . وكان اجلها موقوتا . وتُرِك بشاهق فرخاها . ولحاها القدر ما لحاها .

فُرَيْخانِ ينضاعان في الفجر كلّما ♦ احسّا دويّ الريح او صوت ناعب

ولم يُفلّ غرْب الاقدار . عن غراب حَجَل فى الدار . يُحْسب فى إباضِيّ نساء . قد اكتسى الشبيبة والله كساه . اذا سمع بنخل مُرْطِب . سافر إليه غير مُخْطِب . وينزل اذا امن بالقيعه . وكانّ عينه من الصفاء ماء الوقيعه . فهو حذرٌ مع الامن أرِبْ . مسرور بالمكسب تَرِبْ . وربما سقط على عَوْدٍ عَمِدْ . قد أُنْضِيَ فى الهجير الرَمِد . فاختلس عينه بالمنقار . ثم اعتمد ما بين الفقار . اذا حان تفرق للحى فانه ناعب . فتجِدّ الرِحْلة وهو لاعب . فكم دعا عليه داع . ان يغتدى من دم فى رِداع . حتى اذا اسنّ ودُعِيَ غدافا . سُقى بامر 181
الصمد مُدَافا . لما كثر ولده والصِهر . قُدِّرَ له غلام بيده فِهْر . فرماه وهو آمن . والقدر من ورائه كامن . فسُمّيَ الاعْوَر بحقيقه . وكان يُدعى بذلك على طريق الهُزء لا الخليقه . وصُرِعَ فعانى امرا . كأنّه سُقِى خمرا . فابتدره الوليد العابث . ولديه للعَقر نابث . فجعل فى رجله خيط أَبَق . كأنّه جُعل غُدوةً فى الرِبَق . واقبل جذلاً يلعب . يقول لاسيره الا تنعب . فلم يزل ذلك دينه . حتى نُشر من الليل سَدِينه . فآب ذلك الطفل اهله فشدّوا وثاقه الى سرير . وخَشِيَ غِرّة الغرير . ثم غدا عليه فى تباشير الصُبح . وانمّا بكر لينزل به غير النُجح . فوجده قاضِيَ النحب . قد خرج من الحرج الى الرحب . وما نُهمل اقدار الله حمامه . كانت تَفرّع من الايكة سَمامه . فعُودها اخضر نَضير . والزمن لها لا يضير . المرتع منها دان . والمشرب قريب الملتمس لا يشق طلبه على الهِدان . فهى فى غبّ الرجع . تسجع افانين السجع . كانها قينة شرْب . ركبت العود ليوَى الضرب . فهى تصرف عنهم هُموماً . وتُجيد رَمَلًا او مزموما . فيظنّها الجاهل باكيه . وليت لعيشة شاكيه . وانما ذلك طرب وجَذل . ما غَرِيَ بها 182
العذل . فبينا هى ذات عشيّة لا يضمر قلبها اوجالا . تصدح فوق غُمْنها ارتجالا . اتيح لها من الصقور . شاكى المخالب ليس بوقور . فمزّق منها حَيْزومًا . ولاقت الداهية ازوما . وترك الجوزل مُوتما . يبكيها أُصُلاً وعتماً .

وما نجت من سطوات الزمن عراده . لها فيما جنّ من الارض مراده . تقع
عليه فى الصِرْع . وكأنّ عينها مسمار الدِرْع . تُسَرّ فى ترجّل النّهار فتطير .
وتُساء متى ضربها دَجْن مطير . فباتت ليلة فى زرع . لبائس قليل النشَب
والضَرْع . ومعها رِجْل من جراد . قد التفّ بعضه ببعض فى الإبراد . فبكر
فقير واليومِ أَشْنَب . ومعه دَجُوب او مِقْنَب . فجعلها فيه . وليس ان فعل
بسفيه . وغَنَظَها فى ماء ميّار . لا غَنْظ جرادة العيّار . وكانت من قوت عيال .
قد حرموا حسن إيال . وما تخلّص من حبالة الدهر . جارسة نحل بالفَهْر . فى
جبل صعب مرتقاه . لو اتقى الحتف وزراً لاتقاه . تسرح فى لحلاء وسِحاء . وترجع
183 مع ارتفاع الضحاء . فلها فى المسكن خَبيّ . ما جاد بمثله الحبيّ . تجعل فى
الكاس الرائقة صفاء . سبيّةً من ضَرَبه تُحسب شِفاء . أُشِبَّ لحَينها ذو حَشِيف .
ما كان على النِعَم بمُشِيف . معه مسائب واخراص . وسُغُبٌ على المكسب
حِراص . من هُذَيْل بن مُدْرِكة او فهم . يبتكر بفؤاد شهْم . فوَقَلَ مع الوَعِل .
حتى اذا عاد بشخص مستقلّ . هبط عليها بين خَيْطَة وسِبّ . فعل مُعْدِم
للأرْيِ مُحبّ . فعمد لها بالايام . فهربت من كرب لا هِيَام . فلقيها صغير
من الطير . فعدّ اكلها من الخَيْر . وما تصرف جنادعُ المكائد عن ارقم سكن
فى صفاة . وظفر ببعد الوفاة . يخرج اذا صاف من الوِجار . ويصرف الوسن
عن الجار . لا يفرَق من جذْبٍ راب . اذا سغِب اكل التُراب . عنده الابؤُس فى
الغُوَيْر . وكان عليه دِرعَ قيس بن زُهَيْر . ينفخ وان لم يُرَعْ . نفخاً يكاد منه
الشجر يُصْرَعْ . فبَيْنَا هو فى شمس ربيع . يتشرّق على راس الربع . حلب له
الزمن ما صراه . فسيق له راعٍ ما رداه . فرضّ بالجندل راسه . وكفى هوامّ
الأرض مراسه . وهل يخلد عجوز ام صِلّ . لا تزال ابدا فى الظِلّ . قد صغرت
184 من الكبر . انها لصمّاء الغَبَر . كانت تُوصَف بظلم . ويُذْعَر بها الراقى فى
الحُلْم . فتجاوزت عنها الغِيَرُ حتى فَنِيَتْ هرما . ولم تذق تبلا مَغرماً . وما
شَبْوَة مزبئرّة . ناجية وان تملات الغِرّة . نهض اليها بالغَريفة وليد . فما نفعها
الشرّ التليد . نادى لها بيسمّة غيرها . لما خَشِيَ من ضَيْرها . والله مهلك
الظالمين . ولم تئلْ ام مازن . لا اعنى اخا تميم ولا هوازن . ولكن اريد مازناً

محتقرا . ما هو عند الانس موقّرًا . كانت فى قريةِ نمل . اما بالجَدَد واما
بالرمل . تجمع قوت السنة فى الصيف . ولا تحفل بهبوب هيف . فلما دنت
من حَيْن . قُدّر لها بِنْت جناحين . وقد تلقّى دون ذلك وَطأة غلام قاضيه .
او منية سوى الوطأة ماضيه . وما خَلَد حَيَوان برّىّ . ولا عائم فى اللجج بحرىّ .
سل عن حوت ٱلتهم ذا النون . هل سلم من المَنون . وقامسٍ فى دجلة
أُنسِىّ . كانه لجوشن كُسِى . نُقِل الى وطيس نار متاجّج . من زاخر تيّار
متموّج . وعلجوم . يصدح اذا طلعت النجوم . كانهُ فى المشرع فارس . او مصطل
والزمن قارس . وهاجه . بالماء شديدة اللَّجاجه . وحيّة لغائص الدُّرّ منكّله . 185
تزعم العرب انها بالدُّرّة جِدّ موكّله . فاما الماضى نضر الله وجهه فقد بلغ سؤله .
ومن يطع الله ورسوله . فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا . ان فارق من دمشق
ربوة ذات قرار ومعين . فقد ورد مع الحور العين . كاساً كان امزاجها كافورا .
وان زُوّد لرحيله ملبسا . فقد عوّض منه سُندسا . وان رحل عن جوار الاخوان .
فقد جاور ربه فى دار الحيوان . وظعن من منازل الحرج . الى منازل البقاء
والفرج . تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّا فى الارض ولا فسادا
والعاقبة للمتقين . كم ضالة انشدها فهداها . وامانة حملها واَدّاها . وعهد
رعاه وحفِظه . ولغو امتنع ان يلفِظه . فان كان ربه تعالى منا ابعده . فقد
ازلفه واسعده . وان كان اختلسه . فما اوحش من الخَلَف مجلسه . فقد راى
ولده كهلا متبسّلا . وابناء ولده فِتيانا نسّلا . ومن خير بقيّه . ولد يوصف
بتقيّه . كلما ذكر ربّه . خفف عن ابيه ذَنْبَه . ولا ذنب له بمشية الله وانما
تُضاعف حسناته المتواليه . وتُرفع درجاته العاليه . واما سيّدى اطال الله
بقاءه فلولا ان السُّنّة جرت بالعزاء . عند الارزاء . لَمَا فغرت لذلك فما . ولا 186
اطاقت فى الموعظة كلما . لانه ادام الله عزه اعلم بصروف الايام . واعرف
بمصارع الانام . وانما انا فيما قلت كُمهدٍ الى اهل يبرين جرابا من رمْل .
وغادٍ يأمر بالادخار كراديس النمل . والله يبقيه . ولا يشقيه . ويوزعه . ولا
يختدعه . وينيله النِعم . ولا يبتليه بالنِقم . ويُوقّره إجلالا . ولا يوتره

أُثقالا . ويُزْلفه . ولا يَسْتَحـلفه . ويريه فى مولاى ابى طاهر ادام الله عزه وولده ما رآه فى ولده سَعْدُ العشيرة . فاعلاً ضد ما فعله الوليد بن المغيرة . لانه أُولى مالا ممدوداً . وبنين شهوداً . فلما جاءته التذكرة انكر . فما شكر. وهو ادام الله عزه شجرة لا تُثْمِرُ إلّا طيّبا . وبحر لا ينبت الا درّا مستغربا . ومن العِضة ينبت الشكير. ومن اشبه اباه فلا ظلم ولا نكير. وانا مُعَذِّر. فلا ازال اعتذر. وانما اخر كتابى الى هذه الغاية انه لم يبق لى بعد ذلك الشباب لُبٌّ مُمْلٍ . ولا لبيب مستمْلٍ . فانا ولن امين . أُحسب به من المُعْدِمِين . قال ابو دؤاد

187 لا اعدّ الاقتار عُدْماً ولكن ◆ فَقْدُ من قد رُزِئْتُه الاعدامُ

واما سيدى ابو المجد فشُغْله من قلة الفائدة يكاد يمنع نومه . وينتظم ليلته ويومه . فاما نهاره فى اشغاله فكانّه سِلْك قصُرْ. فى نِظَام كثُرْ. وانما عامة ذلك فى حاجة من ليس له شُكْر مسموع . ولا فى مَعُونته ان شاء الله اجر مرفوع . ولو لا ان يظن ادام الله عزه ان التقصير عن المفترض قد بلغ الى هذه الحال لأزمت حَجَراً . وعددت السكوت مَتْجَرا . اذ كانت الوحدة تُغيّر المعقول . وتصرف قائلًا ان يقول . ولا ادفع ان فيها تسريحا . وفقدًا للأذِيّةِ مُريحا . لا جعلنى الله كمن اكرم فابرمْ . وكان عذره اشدّ مما اجترمْ . واعوذ بالله ان اكون مثل رب اينقٍ بوازِل . صَبّرَ على جدوب اوازِل . مّأُبدِل بضان . ذات حِضان . فكيف سَوْفُ الغمر. بعد دفع الامر. ما استعجلت . فاقول ارتجلت . لان أخا الإعجال . يحمل ذنبه على الارتجال . انا مُخطئٌ مقصّر. وبسيدى ادام الله عزه وتفضله انتصر. والتعزية فى ثلاث بين الغُرباء . وفى حول عند القرباء .

188 واذا لم تمض السَنَه . فالبكاء على راى لبيد سُنّه . وما اجدرنى ببكاء الدهر. لا بكاء سنة او شَهْر. وصفتى عند نفسى مثل قول الاول فى ناقته

موكَلّة بالاولين فكلما ◆ رات رفقة فالاولون لها صَحْبُ

وانا اسال سيدى ادام الله عزه الّا يصرّف قلمه فى اجابتى عن هذه الرسالة لانى استغنى عن اتعاب يده . بتحققى ما فى خَلَدِه . والله رب العزة يُنجيه . فكلنا يأمله ويرتجيه . ولا زالت الشمس الطالعة تغاديه . بزيادة فى القوة على حسب اياديه

٣١

ومن انشائه تهنئة بمولود

قد سُرت الجماعة بالمولود القادم اجزل الله حظه من اسمه واعطاه الغاية مما كنى به وتفاءلت له ضروبا من الفأل منها انه قدم يوم الجمعة فدلّ ذلك على اجتماع الشمل وهو يوم عيد ونفقة فبسط الله يده بالنفقات والجمعة ذات نسك ودين والله يبلغه مبالغ اهل التقوى بكرمه وكان وروده فى مقابلة ايام العجوز وذلك فأل بالسلامة واليمن لان العُجُز ارفق بالولد من الشوابّ قال الراجز

فَهْيَ تُنَزّى دَلْوَهَا تَنْزِيًا • كما تنزّى شَهْلَةٌ صَبِيًا

وقالوا ارفق من عجوز بصبى واتفق مجيئه عند إفصاء الشتاء وهم يتيمنون 89
بالفصية وهى الخروج من البرد الى الحرّ او من الارض ذات الشجر الى الارض البراح ومن ذلك حديث قَيلَة التى وفدت على النبى صلى الله عليه وسلم فقالت لها ابنتها الُحدَيْباء الفَصْيَةُ لا يزال كعبك عاليا فى حديث فيه طول ۔ ومن سعادة القادم الى هذه الدار ان يستقبله الربيع ضاحكا فى وجهه محيّيا له بورده وزهره مهديا اليه ريّا روضه لان آذار واخاه القَتيان من شهور السنه ۔ والمبتسمان فى عبوس الازمنه ۔ فيهما يتانّق وِلدان البادية يعجبون من اجتلاء القفرة فى خُضُر برود ۔ ويجتنون ما سنح من بنات اوبر او المغرود ۔ ويكفى القادم الى الدنيا من البوس ان يلقاه الاشهبان ينفضان عليه الضريب ۔ ويتنفسان بالريح البليل ۔ ويكلحان عن جمود ۔ ثغر اشنب ولكنه غير محمود ۔ حين يصطلى الرامى قوسه والراعى عَنَزَتَه وتودّ الامة ان راسها احدى الاثفيتين فالحمد لله الذى جعل قدومه فى زمان تجد به المجدبة مرعى ۔ وتستنّ فِصاله حتى القرعى ۔
وتشبع سارِحَتُه من حِلّ ۔ وبِلّ ۔ وكان ينبغى الا نهنىء به لانّا شَعَرات 190
فى جسده وحصيات من ارضه ولكن الجذل غلب فاستفز

٣٢

ومن كلامه

قد نفذت رقعتى بالامس اليه اطال الله بقاءه احثه فيها على اطلاق محبوس فى اطلاقه صلاح وما سالته ان يصفح عن جنابته ولا يتجاوز عن ذنبه وفى هذه السَّبْرة جاءت امّه محرورةً كئيبةً تزعم ان طملا دخل عليها فى الجُهْمَة فذبح لها ولابنها اربعا من اُمّات الكيك وهى متفجعة لذلك كانّها من الدجاج الذى زعم الاسكندر لملك فارس انه كان يبيّض بيض الذهب والدجاجة اذا اسمحت بذوات الغِرْقىِّ فهى عند الفقير اكرم من الناقة الغزيرة والجدى عند المعدم مثل عُليّان عند كُليب وائل وشاه ام معبد لديها خير من زَبّاء ناقة ابى دواد التى كانت اذا حل عِقالها تبعها الحى اين اتجهت ولعل اصوات هذا الدجاج كان فى اذن هذا النصرانى احسن من غناء معبد والغريض فاما اُمّه فلا شك انها تعدّ البيض من اكبر عُدّة وانفس ذخيرة تضمد به عينها اذا اشتكت وتجمع منه الفاردة بعد الفاردة فتبتاع به دُهْنا للمصباح او تزيل الدرن بالماء الحميم والعجب لغباوة هذا اللص كيف لم يُضف الى الدجاج شيا من الدقيق ليكون قد جمع بين الخُبزة والخُبرة ولو كان هذا النصرانى جنى جناية لما وجب على دجاجه ذبح ولكن القائل قال

وبالأشْقَيْنَ ما كان العقاب

وقال النعمن بن بُشَيْر

صُبّت عليه ولم تنصبّ من كثب • ان الشقاء على الأشْقَيْن مصبوب

واذا كان النصرانى يُحبس فتذبح دجاجه فما يبعد فى القياس ان يغرم كاتبه ادام الله عزه ثمن الدجاج لانه من اهل ملة صاحبه وقد قال الأول

اذا عركت عجْلٌ بنا ذَنْب غيرنا • عركنا بتيم اللات ذنب بنى عجل

والمثل السائر

كالثور يُضْرب لما عافت البقر

فان كان اللص قد ذبح الديك فقد ذهب بالابل وحملها وان كان اغفله ففيه لاصحابه سلوة وعزاء لانهم به اعجب من بشار بديكه حيث قال

ماذا يؤرقني والنوم يعجبني • من صوت ذى رَعثان ساكن دارى

كأنّ حمّاضةً في راسه نبتت • من آخر الصيف قد همّت باثمار ١٩٥

وان تاخر اخلاقه جاز ان يُسرق الدقيق وغيره فإن راى ان ينظر فى امره فعل ان شاء الله تعالى

٣٣

ومن كلامه رقعة كتبها الى القاضى

اعوذ بالله ان اعرّض فى حكم وقد علمت ان عليا عليه السلام اخذ قطيفة عن ولده الحسن عليه السلام ظن انها من بيت المال الى غير ذلك من الاخبار منها ان شُريحا كفل ابنه برجل فحبسه وقد شفع أسامة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المخزومية فرده وحامل هذه الرقعة ذكر انه أُخذ هو وابنه بالامس واحضرت لهما احدى العمريتين وهى ابغضهما حضوراً الى المرء المسلم فاما ابنه فنفذ فيه القضا ولا غرو لذلك قد جرى مثله على ابى سفيان بن حرب وهو شيخ قريش واما ابوه فافلت بجُرَيْعة الذقن وانما نجاه كبر سنه وعلة فى جسمه والعُمَريتّان اللتان ذكرت احديهما مشطة من مشط النساء والاخرى يحضرها المعاقبُ لمن زاغ قال الشاعر

الا لا يغرن امرأً عمرية • على غملج تمت وطال قوامها

193 وهو يشتكى للحكيم وقد كانت قريش قبل الاسلام نصبت رجلاً يقال له حكيم من بنى سليم يؤدب الناس بالحرم وياخذ على ايدى السفهاء وفيه يقول القائل

اطوف بالاباطح كل يوم • مخافة ان يشرّدنى حكِيمُ

ولولا ان هذا الحكيم بالالف واللام لجازان يدعى اهل التناسخ انه حكيم

٣٤

ومن كلامه

لم ازل اتشوّف الى اخباره تشوّف الطلى الى الظبيه . والمجدب الى برق الغَبْيَة . فانا بَلِلْت بوميض بعد وميض . حباني بَسَرْوٍ غَرِيض . واسال عنه سوال ضَبّة بسُعَيْد . والطآئى مهلهل عن زيد . واتوكّف انباءه عند المتغرّبين . واطلبها تلْقاء المتاوّبين . حتى حدثنى فلان وذلك بعدما ذوى نبت الحاجر . وكرب شهرا ناجر . انّه سار الى مصر ثم حدثنى فلان ازمان تربّل الشجر قبل ان يطلع رامح النجوم انه صحبه الى بغداذ وفى هذا اليوم جاءنى فلان ومعه انواع من تُحفه اجلّها كتابه بخبر سلامته وما بيننا من الجميل المعتمد كان يغنيه عن انفاذ العُمَد . والمودّة على القرب والبُعد . لا يفتقر معها الى اهداء السُعْد . على اننى قد عددته دواءً وطيباً . وعدل عندى المسك قَطِيباً . ١٩٤ وتفاءلت باسمه للسعاده . والله يُجريه على اجمل عاده . وكذلك تفعل العرب فى العيافة يغيّرون الحرف ويحملونه على غير ما هو منه قال الشاعر

وقال صحابى هُدْهُدٌ فوق بانة • فقلت هُدًى يغدو لنا ويروح

والهدى ليس من لفظ الهدهد واما البيتان الصاديان فليس هما البيتين اللذين سالت عنهما وبينهما بون بعيد مُرْدفان ومُجَرّدان والاول من الخفيف والطويل الثانى . وليس المشئمُ اخا اليمانى . ثُمانىّ وسُداسىّ . ما احدهما للاخر سىّ . وهذان فى صفة جندب وجرباء . وذانك فى صفة ربق الشنباء . وان الله سبحانه حكم بلغاء الخطوب على كل البلاد . كما حكم به على العِباد . فان وقع خطبٌ بدمشْق . فاىّ بلد لم يَشْق . وفى الكتاب الاشرف وإنْ من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة او معذبوها عذابا شديداً كان ذلك فى الكتاب مسطوراً

٣٥

ومن كلامه

المودّة مودّتان مودّة وافيه . ومودة عافيه . فالوافية من الله سبحانه
19b والعافية من الشيطان لعنه الله وقد علم عالم الخفيات ان مودتى له ادام الله عزهُ ورفع فى الخير درجته اذا انفردت بنفسها كفتْ . واذا قُرنت بغيرها زادت عليه وضفتْ . ولست اطوى وداده طى الضرب الاول من المنسرح ولا اقبضه قبض عروض الطويل ولا اقطعه قطع الوتد ولا اجعله كالسبب المضطرب يقع به الزحاف والعِلّة اللازمة ولكنى اصونه من التغير كما صين الروىّ عن إقواء وإكفاء . وادوم على الاخلاص والصفاء . والذى بينى وبينه لا يفتقر الى تجديد بهدية اذ كان فى موضع محروس . قد امن مثله من الدروس .

وعُرّفتُ انه سار الى مصر وكان مقامه فيها غير متماد .

كحسو الطائر جرعا من الثماد . ثم عاد

حامّاً حمّ العراق وانا اخصه بسلام

ذكىّ . عنبرى فى الارج

او مسكىّ

٣٦

ومن كلامه جوابا لابى الحسن محمد بن سنان لما جاءه كتابه فى امر كليلة ودمنة وما تقدم به السلطان اعز الله نصره من اختصار امثاله

قد سُرِرْتُ بورود كتابه انواع سرور . فسرورًا لوروده واخر لاستماعه وثالثا غمر هذين وهو خبر سلامته وعَجِبْتُ من الفاظه التى ليست مسجوعة سجع الجاهلية ولا منثورة نثر كلام العامة بل هى منظومة نظم اللؤلؤ البحرىّ . متضوّعة تضوّع 196 نسيم الروض السَّحَرىّ . واما شوق اسود القلب اليه فشوق اسود العين الساهرة الى كراه شهد بذلك الازهران وانى لُاحفى المسالة وأخفى الدعوة واخفّف بترك المكاتبة وانما اخّرت الاجابة الى هذا الحين عجزا عمّا يحق علىّ قال الله سبحانه واذا حُيّيتم بتحيّة فحيّوا باحسن منها او ردوها ولا اقدر على احسن منها وقال جل اسمه لا يكلف الله نفسا الا وسعها ولا ينسبنى فى هذا القول الى النفاق فلو كنت من اهله فى الشبيبة لوجب علىّ تركه عند إخلاس اللمة واحسبه ادام الله قدرته يحسبنى على ما يعهد من القوة والصبر ولست كذلك الان عَلَت السِنّ وضعف الجسم وتقارب الخطو وساء الخُلْق وعطلت رحى كانت لى لم تكن تجعجع ولكن تهمس كنت اقصر طحنها على نفسى واتقوى به دون غيرى ولم يكن لها ضمان . ولكن فجع بها الزمان . ولم تبق الا ان بخلو مكانها العامر . فيصبح كانه المحل الدامر . فاما المنفعة بها فقد انقضت وانقرضت وان تشبّه بها فى الطعن اخواتها صار لفظى من اجل ذلك مَشينا . 197 وجعلتُ سِين الكلمة شينا . فلم يفهم عنى سامع ما اقول فاذا قلت العسل

مشى الذئب ظن انى اقول العشل بالشين المعجمة ولا اعلم ان فى كلامهم هذه الكلمة وانما هذه الرحى واترابها فى التتابع الى الرحلة كما انشد ابو زيد سعيد بن اوس

يا ربة العير رُدّيه لوجهته • لا تظعنى فتَهيجى الحىّ للظَّعَنِ

فان وقع يوما من الدهر اليه شى مما امليه فوجد فيه السينات شينات ه فليعلم ان ذلك لما ذكرت وان الذى كتب سمع ولم يفهم وهذا البيت فى اصلاح المنطق يُنْشد على وجهين

طبيخ نُحازٍ او طبيخ أميهةٍ • صغير العظام سيّئُ القَسْم املط

وينشد القسم والقشم افترى هذا من تغيير لحق الناقل بسقوط فيه وكتابه معدود من بركات السلطان اعز الله نصره فاما كتاب كليلة ودمنة فليس له نسخة عندى ولا تمكن به علمى وما اذكر انى استكملته سماعا قط ولما ورد كتابه للعظم الذى سالت من جاءنى منه بنسخة ردية وكلّفته ان يقراها علىّ فكنت فى ذلك كما قيل فى المثل عاط . بغير انواط . ولا يظن السلطان خلد الله ملكه ان امرى يقاس على ما اتفق فى رسالة الصاهل والشاجح فان اقباله القاها

98 بخلدى ونفثها فى فمى . ونطق بها على لسانى . ولا بد من تكلّفى استماع الاوامر لان طاعة السلطان اعز الله نصره فرض على كل احد لا سيّما على مثلى لاشياء كثيرة ايسرها قول الاعشى

اذا كان هادى الفتى فى البلا • د صدر القناة اطاع الاميرا

وان وُفّقت والتوفيق منى بعيد فانما ذلك مَيسِر من أبرام . ورمية من غير رام . وهذا زمان الأَنَب والعِنَب وهما يفسدان الذهن اما المغدُ فقال بعضهم انه يفسد فى شهر . ما اصلحه البلاذر فى دهر . واما العنب فهو يعرف البيتين الصاديين اللذين قيلا الشيخ ابى طرق ايّده الله فى العنب الحامض وحرس الله قائل البيتين ولما خاطبنى بتلك المخاطبة تاوّلت لها معنى غير ظاهر اللفظ وجعلت للاجلّ اذا وُصِفْتُ به وجوهاً منها ان اكون مشبّها بالجليل وهو الثُمام اى انى ضعيف مثله ومنها ان يكون الاجلّ فى معنى الاصغر من

قولهم جَلّتْ الهَاجِنُ عن الولد اى صَغُرت ومنها ان يكون الاجل مما تجلّه الأُمَة وهو اشبه الوجوه قال الراجز

والله ما ادرى وان كنت اجُلْ • امن بعيرٍ جلّتى ام من رجُلْ

وانا اعلم انه ما اراد بها الا غير هذا ولكنه قال بالظن الحسن وقلت باليقين 199
الثابت وكلانا ان شاء الله محمودٌ فى ما صنع ولفظ واشغاله مودّية الى اجر دائم وشُكْر يجرى مجرى الخلود ان كان المرءُ ليس بخالد قال الشاعر

فاذا وصلتم ارضكم فتحدثوا • ومن الحديث مَتَالفٌ وخلود

وانا اهدى الى موالىّ الشيوخ السادة آل سنان ضوّأ الله الايام بدوام عزهم سلاما مرتبا على ترتيب الاسنان يطّرد اطّراد القناة ويكون مثله

كمثل الماء يفاض على اصل الشجرة فيعظم جناها
وينال اعلاها كما ينال ادناها وحسبى الله

٣٧

ومن كلامه

كُتُبته عندى تترى . دالّة على ان مودته ليست مما يُفترى . وقلبه يشهد لى بشوق لا تمحوه اذيال الروامس . ولا يستتر بالليل الدامس . والذى وهب معرفة ومودّه . يضيف اليها بمشيته مشاهدة مستجدّه . وصلت له ثلاثة كتب هى لدىّ كاشراط النجوم لا اقول كاثافى المِرْجل . والملوك مثل البحار لا
200 يوجد لؤلؤها على السيف وانما يوصل اليه بمعاناه ومساذاه وان كان ليل التمام ذا قبح . فان وراءه تباشير الصبح . والدهر طويل مُؤْتنف . وان اثّر شياً لبعض الرؤساء فلن تكون آثاره بقدرة الله الا ربيعية روضية لان بارقته ليست بالكاذبة ونسبه فى بارق فذلك فألٌ بسحاب روي وخطوب الدهر ترد منه على شرّاب بأُنْقُع . يفد عليه الخطب من بعد توقع . وانا اخصه بسلام لو رُمِىَ لاَنار . ولو طُرِح فى مضلّة لما حار

٣٨

ومن كلامه

ورد كتاب سيدى الذى يُؤمّل لهلاله ان يُبدر. ولثَغَبه ان يستبحر. ولحارِ زَمَنه ان يفضّ عن انفس جوهر. ولأكِمّة وقته ان تبوّج عن اطيب زَهَر. وكنت اتوكف اخباره سؤال المخلف عن الرفقة بمكان الصِحاب. والرائد عن مواقع السحاب. ولو مثل بين يدى السلطان لراى منه اصدق من الكُدْرِىّ. وانسب من المرء البكرى. ومثله لا يجاف دونه باب. ولا يحتجب عنه الحشم ولا الارباب. ولولا انه قد اضمر هجران الثريا. ولِجَنْب الى الجنوب ذات الرِيّا. واحبأنّ ينظر الى سهيل نظر قريب. لا نظر لامح غريب. لكان الرأى مقامه بتلك الحضرة ولكنه قد ازمع امراً والله بعينه على مراسه. 201

ونشمله من اليُمْن السابغ باسنى لباسه. وانا اهدى
اليه سلام المحل على الروضة العازبة والجماعة
يذكرونه ذكر المجدبة بالسماوة ايامها
فى ارض نُبالة ويثنون عليه ثناء
المعدوم على ازمان السعة

٣٩

ومن كلامه

كتبت مستهل عاذل لا زال معذولا فى المكارم . محموداً على تجنّب الدنايا والمحارم . وعرّفه الله سعادة الشهور ما بين غررها الى مُحاقها . وبركة الايام ما بين غروب شمسها واشراقها . ويمن الليالى من طلوع شفقها . الى تجلى غسقها . وما كنت اظنّ ان السماك يطلع الا وهو قد اغار حبل العزيمة وقطع خَيْط الفُرات وبرد غلبل النفس من مشاهدة حران وانكفأ عائداً الى اليفيف وما ينبغى ان يلوح قلب العقرب الا وهو فى جوار النوفل خُفَارةً او السيد عزيز الدولة اعزّ الله نصره فمن كان متصعلكاً . وجب ان يجاور بحرا او ملكا . لا سيما اذا كان الملك اديباً . والمتصعلك نافذا اريبا . وهو ادام الله عزه قد

٢٥٢ حلب الدهر اشطره . واوقد غضا السفر وقطره . وان ضاق الرزق
فسوف يتسع فوراء العام المجدب عام خصيب . والوادى
الاشيب مكان رحيب . وانا اهدى له سلاما
لو رئى لكان انيقا . ولو تضوع
لحسب مسكا فتيقا

٤٠

ومن كلامه الى الشيخ الفاضل ابى الحسن بن سنان

قد كانت العامة اطال الله بقاء سيدى ارسلت ذوات العذبات متحدثة بانه قد عزم على زيارة ام رُحْم وورد المضنونة والمرور بالجابرة فارَمّوا ضامرين على كراهة واداء الفروض له اوقات . ولكل حج ميقات . فمن كان عليه صوم ام يجز قضاؤه فى العيدين . ويكره ابتداء الصلوة فى البَرْدَيْن . اعنى عند الشروق والغروب وسفر مولاى الى الحج فى هذه السنة حرام بَسْل كما حرم صوم عيد الفطر . وحُظر على المحرم تضمخ بعِطر . وهل سمع فى اخبار الصحابة او التابعين ان رجلا خرج من مصاقة العدو يريد بيت الله الحرام وقد كانت القلوب احسّت بانّ السلطان اعزّ الله ملكه لا يُسمع بسفره فى هذا العام . ويجعل منعه من ذلك ضافيا من الانعام . وهو ادام الله تمكينه امين من امناء المسلمين يُرْهف 203 الشوكة ويستجيد اللأمة ويحصّن ما وهى من سور او شُرفات ولو لا ان عامة حلب حرسها الله مشغول بالمعائش لما اغفلت شكيّة عزيمته قبل ان تستحكم وذكْر الوحشة له دون ان يفارق ويرتحل ومن لحياطة الرعيّة بمداميك الجُدر . واجراء السُعُد لحفظها والغُدُر . وعلى من يعتمد فى تخيّر السوابغ ذوات الزَرَد . المشبهة بفضلات الابْرد . واىّ الناس ينوب عنه فى اعتيام صاحب طرفين كانه ابْمٌ . اذا نكز جاءت المنيّة ولا ربمٌ . ورِمّ جواشِنَ تكون مع الاتضية للسلامة اوكد حُجّة . كأنّما تُستلب من حيتان اللُجّة . وخبايا وفاض يُتَفقّد افواقها واجنحتها . ويُتعهّد باوامره سُراها واغرّتها . وقد ورد البشير فى هذه الايام بان السلطان اعز الله نصره تقدم بالمنع وهذا امر إلاّ ان يكون له باطن خلاف الظاهر

فلا ادرى ما اقول فيه للبيت العتيق منذ عهد آدم يُزار ويُحجّ ما خيف عليه
انتقال ولا تحوّل ولا غيّره عن العهد مغير وحلب حرسها الله قد صار فيها رباط
يُغتنم وجهاز يُرغب فيه ويُتنافس ولن يلبث ان يزول بانعقاد الهُدْنة وعَوْدة
الجامع كلمة الروم الى كرسيّه من بزنطيه وان كان مولاى الشيخ ادام الله عزه
204 يخرج بالاهل ادام الله صيانتهم فالحجاز مكان معتزل لا يلحق به ما نحن فيه
وان كان يظعن بنفسه دون اودّائه فما الفائدة فى ذلك أمّا يعلم ان لاهل البلد
أُنْساً برؤية شخصه واستماع قوله وما ينبغى ان يكون كما قيل فى المثل لَجّ فَحجّ
ولو قال وليد لوليد فى ليل داج . وهو محادث محاجّ . من يؤجر فى مقامه
فى الديار . اضعاف اجره فى حج واعتمار . فقال الوليد الاخر محمد بن سعيد .
لوقع سهمه غير بعيد . وحماية الذمار اولى من حج واعتمار . ومولاى ابو
القسم ولده صغير السن فكيف يحتمل ايحاشه . وهو لم يربط من الزمن
جاشه . ويجب ان يعلم ان السلطان اعز الله نصره لا يغفل مثل هذه الخلة
واخاف ان يهتم بمصالح السفر فتلزمه فى ذلك مؤنة ثم يؤمر برده من الطريق
وان كان غرضه فى الرحلة الخلاص من شغل هو فيه فلن يتعذر وهو قاطن لم
يُنْضِ نجيبا . ولا مارس من الاسفار عجيبا . واخبار العامة الى هذه الغاية فى
205 ذكر مسيره ترَهْيَاً كانها سحابة المصيف والله يجعل الخيرة له
قريبا فى كل حال . من حلول فى الوطن وارتحال .
وانا اخص حضرته بسلام ينوب عن الوسمى
الباكر . وبطيب عَرْفه للناكر

٤١

ومن كلامه

لو اتصلت كتب مولاى كاتصال الامطار وتوالت توالى الأنفاس لكنت بوليّها . اسرّ منىّ بوسميّها . والى مستأنفها . اشوق منّى الى سالفها . وما يكتب الا فى برّ . ولا يحث على غير المصلحة فى الجهر والسِرّ . وما ادرى ما اقول فى السعادة التى قد رُزِقتُها عنده حتى غطت معائبى وسترت الأُسِدّة التى اضرّت بى فما انكر بعدها ان تعدّ نَطَفَات الذرّ لام الادراص . وان تصاغ مناطق الذهب للرُبّاح . وان يدّعى المدّعون ان ريش ابن انقد سهام صائبة او قنوات يَزَنِيّة وانا على شكرى له واعتدادى باياديه لا ادع نصيحته اذا رفعنى فوق حقى اغرى الالسن بذمّى ولو بعد حين ولو فُقّت المحارة لم يوجد فيها ما له قيمة ولو نفتّق ذاك البُرْعُوم لظهرت منه زهرة غير حسنة فى المنظر ولا طيبة فى المتنسم . وقد علم الله ان زندى ليس بوار . وان اليد عطلت من السِوار . 206 وبلغنى من اشغاله ما يسرّنى له فى عُقْباه . ويوجب تخفيفى عنه بترك المكاتبة فى دُنْيَاه . ولا ريب فى التقاء الضمائر على المودّة وتصافح الخواطر فى كل يوم بل فى كل ساعة وقد ورد ابو فلان مُوقَرًا من شكره ما لا تطيقه الابل ولا تسيقه السحائب ولا تنهض به الا رطائب القريض التى شرفت عن العقال . ولم تشنك لمكان الاثقال . ولو لا انه قد استفرغ معه الجهد وبلغ به اقصى آمال النفس واعطاه غاية امانىّ الصدق لسالته ان بزيده من المكارم ويسبل عليه اسجاف الفضل ولكنه لم نترك للسؤال موضعا ولا للامنية الاشِرة متصرّفا . وقد كان عمل قصدة على الراء تعاونت عليها فضيلتاه الغريزة المهذّبة . والبراعة المكتسبة . وانا اهدى اليه سلام الرائد المجدب على الروضة العازبة والشيخ الهرم على ايام الشبيبة

٤٢

ومن كلامه

كانت كتبى اليه كبارح الاروى يكون فى الدهر مرة والآن قد صارت كسوانح الغربان وبوارح الظباء

تكاثرت الظباء على خِداش ◆ فما يدرى خداش ما يصيد

ومن أُلحْف فدواؤه ما قال بشّار

وليس للملْحِف مثل الرد

وعليه سلام لو كان يوما لكان يوم عرفة او شهرا لكان ناتقاً اعنى شهر رمضان والسلام وحسبى الله وحده

هذا ما وجد من مكاتباته الى اصدقائه

◆

◆ ◆

◆

ترجمة ابى العلاء المعرّى للذهبى

احمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن احمد بن سليمان ابن داود بن المطهّر بن زياد بن ربيعة ابو العلاء التنوخىّ المعرّىّ اللغوىّ الشاعر المشهور صاحب التصانيف المشهورة والزندقة المأثورة له رسالة الغفران فى مجلدة قد احتوت على مزدكة واستخفاف ففيها ادب كثير وله رسالة الملائكة ورسالة الطير على ذلك الانموذج وله كتاب سقط الزند فى شعره وهو مشهور وله من النظم لزوم ما لا يلزم فى مجلد ابدع فيه وكان عجبا من الذكاء المفرط والاطلاع الباهر على اللغة وشواهدها ولد سنة ثلاث وستين وثلثمائة وجدّر فى السنة الثالثة من عمره فعمى منه فكان يقول لا اعرف من الالوان الا الاحمر فانى البست فى الجدرىّ ثوبا مصبوغا بالعصفر لا اعقل غير ذلك اخذ العربية عن اهل بلده كبنى كوثر واصحاب ابن خالويه ثم رحل الى طرابلس وكانت بها خزائن كتب موقوفة فاجتاز باللاذقية ونزل ديرًا كان به راهب له علم باقاويل الفلاسفة فسمع ابو العلاء كلامه فحصل له به شكوك ولم يكن عنده ما يرفع به ذلك فحصل له بعض الحلال واودع من ذلك بعض شعره فمنهم من يقول ارعوى وتاب واستغفر وممّن قرا عليه ابو العلاء اللغة جماعةٌ فقرأ بالمعرّة على والده وبحلب على محمد بن عبد الله بن سعد النحوى وغيره وكان قانعًا باليسير له وقف يحصل له منه فى العام نحو ثلثين دينارًا قدّر منها لمن يخدمه النصف وكان اكله العدس وحلاوته التين ولباسه القطن وفراشه لبد وحصيره بورية وكانت له نفس قوية لا يحمل منة احد والّا لو تكسّب بالشعر والمديح لكان ينال بذلك دنيا ورياسة واتفق انه عورض فى الوقف المذكور من جهة امير حلب فسافر الى بغداذ متظلّما منه فى سنة تسع وتسعين وثلثمائة فسمعوا

منه ببغداذ سقط الزند وعاد الى المعرّة سنة اربعمائة فقد قصده الطلبة من النواحي ويقال عنه انه كان يحفظ ما يمرّ بسمعه فقد سمع الحديث بالمعرّة عاليا من يحيى بن مسعر التنوخي عن ابن عروبة الحرانى ولزم منزله وسمى نفسه رهن المحبسين للزوم منزله وذهاب بصره واخذ فى التصنيف فكان يملى تصانيفه على الطلبة ومكث بضعا واربعين سنة لا ياكل اللحم ولا يرى ايلام الحيوان مطلقاً على شريعة الفلاسفة وقال الشعر وهو ابن احدى عشرة سنة قال ابو الحسين على بن يوسف القفطى قرأت على ظهر كتاب عتيق ان صالح بن مرداس صاحب حلب خرج الى المعرّة فقد عصى عليه اهلها فنازلها وشرع فى حصارها ورماها بالمجانيق فلما احسّ اهلها بالغلب سعوا الى ابى العلاء بن سليمان وسألوه ان يخرج ويشفع فيهم فخرج ومعه قائد يقوده فاكرمه صالح واحترمه ثم قال الك حاجة قال الامير اطال الله بقاءه كالسيف القاطع لان مَسّه وخشن حدّه وكالنهار المبالغ [؟] قاظ وسطه وطاب برده خذ العفو ومر بالعرف واعرض عن الجاهلين فقال له صالح قد وهبتها لك ثم قال له انشدنا شيئا من شعرك لنرويه فانشده بديها ابياتا فيه فترحل صالح وذكر ان ابا العلاء كان له مغارة ينزل اليها وياكل فيها ويقول العمى عورة والواجب استتاره فى كل احواله فنزل مرة واكل دبسا فنقط على صدره منه ولم يشعر فلما جلس للاقراء قال له بعض الطلبة يا سيدى اكلت دبسا فاسرع بيده الى صدره يمسه فقال نعم لعن الله النهم فاستحسنوا سرعة فهمه وكان يعتذر الى من يرحل اليه من الطلبة فانه كان ليس له سعة واهل اليسار بالمعرّة يُعرفون بالبخل وكان يتاوّه عن ذلك وذكر الباخرزى ابا العلاء فقال ضرير ما له فى الادب ضريب ومكفوف . . فى قميص الفضل ملفوف . ومحجوب خصمه الالدّ محجوج . قد طال فى ظل الاسلام أناؤه . ولكن ربما رشح بالالحاد إناؤه . وإنما تحدثت الالسن بآسانه لكتابه الذى زعموا انه عارض به القران وعنونه بالفصول والغايات فى محاذاة السور والآيات قال القفطى وذكرت ما ساقه غرس النعمة محمد بن هلال بن المحسن فيه فقال كان له شعر كثير وادب غزير ويرمى بالالحاد فى شعره واشعاره دالة على ما يزنّ به ولم يكن ياكل لحما ولا بيضا ولا لبنا بل يقتصر على النبات ويحرم

ايلام للحيوان ويظهر الصوم دائما قال ونحن نذكر طرفا مما بلغنا من شعره لتعلم صحة ما يحكى عنه من الحاده فمنه

صرف الزمان مفرّق الالفين • فاحكم الاهى بين ذاك وبينى
أنَهيْتَ عن قتل النفوس تعمدا • وبعثت انت لقبضها ملكين
وزعمت ان لها معادا ثانيا • ما كان اغناها عن الحالين

ومنه قران المشترى زحلاً يرجّى • لايقاظ النواظر من كراها
تقضّى الناس جيلا بعد جيل • وخلفت النجوم كما تراها
تقدّم صاحب التورية موسى • واوقع بالخسار من اقتراها
فقال رجاله وحى اتاه • فقال الاخرون بل افتراها
وما حجّى الى احجار بيت • كؤوس الخمر تشرب فى ذراها
اذا رجع الحكيم الى حجاه • تهاون بالشرائع وازدراها

ومنه فيما انشدنا ابو على بن الخلال ابا جعفر ابا السلفى انشدنا ابو زكريا التبريزىّ وعبد الوارث بن محمد الاسدىّ لقيته بابهر قالا انشدنا ابو العلاء المعرىّ بالمعرّة لنفسه قال

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة • وحقّ لسكّان البسيطة ان يبكوا
تحطّمنا الايام حتى كانّنا • زجاج ولكن لا يعاد له سبك

ومنه هفت الحنيفة والنصارى ما اهتدت • ويهود حارت والمجوس مضللهْ
اثنان اهل الارض ذو عقل بلا • دين وآخر ديّن لا عقل لهْ

ومنه قلتم لنا خالق قديم • صدقتمُ هكذا نقول
زعمتموه بلا زمان • ولا مكان الا فقولوا
هذا كلام له خبىءٌ • معناه ليست لكم عقول

ومنه دين وكفر وانباءٌ تقال وفرـ • ـقان يُنص وتوراه وانجيل
فى كل جيل اباطيلٌ يدان بها • فهل تفرّد يوما بالهدى جيل

قال النووىّ نعم ابو القاسم الهادى وامته • فزادك الله ذلاّ يا دجيجيل

ومنه قوله فلا تحسب مقال الرسل حقّا • ولكن قول زور سطّروه
وكان الناس فى عيش رغيد • فجاؤا بالمحال فكدروه

ومنه وانما حمّل التوراة قارئها ◆ كسب الفوائد لا حب التلاوات
وهل ابيحت نساء الروم عن عرض ◆ للعرب الا باحكام النبوات

انبأتنا ام العرب فاطمة بنت ابى القاسم انا فرقد الكنانى سنة ثمان وستمائة انا السلفى سمعت ابا زكريا التبريزى قال لما قرأت على ابى العلاء بالمعرّة قوله

يدٌ بخمس مىءٍ من عسجد فديت ◆ ما بالها قطعت فى ربع دينار
تناقض ما لنا الا السكوت له ◆ وان نعوذ بمولانا من النار

سالته عن معناه فقال هذا مثل قول الفقهاء عبارة لا يعقل معناها قلت لو اراد ذاك لقال تعبّد ما لنا الا السكوت له ولما اعترض على الله بالبيت الثانى قال السلفى ان قال هذا الشعر معتقدًا معناه فالنار ماواه وليس له فى الاسلام نصيب هذا الى ما يحكى عنه فى كتاب الفصول والغايات وكانه معارضة منه للسور والايات فقيل له اين هٰذا من القران فقال لم تصقله المحاريب اربعمائة سنة الى ان قال السلفى اخبرنا الخليل ابن عبد الجبار بقزوين وكان ثقة نا ابو العلاء التنوخى بالمعرّة نا ابو الفتح محمد بن الحسين نا خيثمة فذكر حديثا .

وقال غرس النعمة وحدثنى الوزير ابو نصر بن جهير نا ابو نصر المنازى الشاعر قال اجتمعت بابى العلاء فقلت له ما هذا الذى يروى عنك ويحكى قال حسدونى وكذبوا علىّ فقلت على ما ذا حسدوك فقد تركت لهم الدنيا والاخرة فقال والاخرة قلت اى والله قال غرس النعمة واذكر عند ورود الخبر بموته فقد تذاكرنا الحاده ومعنا غلام يُعْرَف بابى غالب بن نبهان من اهل الخير والفقه فلما كان من الغد حكى لنا قال رأيت فى منامى البارحة شيخا ضريرا وعلى عاتقه افعيان متدلّيتان الى فخذيه وكل منهما يدفع فمه الى وجهه فيقطع منه لحما يزدرده وهو يستغيث فقد هالنى (فسألت) من هذا فقيل لى هذا المعرّىّ الملحد ولابى العلاء

اتى عيسى فبطّل شرع موسى ◆ وجاء محمّد بصلاة خمس
وقالوا لا نبىٌّ بعد هذا ◆ فضلّ القوم بين غدٍ وامسِ
ومهما عِشْت فى دنياك هذى ◆ فما تخليك من قمر وشمسِ
اذا قلتُ المحال رفعت صوتى ◆ وان قلت الصحيح اطلتُ همسي

وله اذا مات ابنها صرخت بجهل • وما ذا تستفيد من الصراخِ
ستتبعه كفاه العطف ليست • بمهل او كثّمّ على التراخي

وله لا تجلسن حُرّة موّنّقة • مع ابن زوج لها ولا ختَنِ
فذاك خيرلها واسلم للا‍-ـ• نسان ان الفتى من الفتَنِ

وله منك الصدود ومنى بالصدود رِضًا • من ذا علىّ بهذا فى هواك قَضَا
بى منك ما لوغدا بالشمس ما طلعت • من الكآبة او بالبرق ما ومَضَا
جرّبت دهري واهليه فما تركت • لى التجارب فى ود امرئ غرَضَا
اذا الفتى ذمّ عيشا فى شبيبته • فما يقول اذا عصرالشباب مَضَا
وقد تعوّضتُ عن كل بمشبهه • فما وجدت لايّام الصبا عِوَضَا

وله وصفراء لون التبر مثلى جليدة • على نوب الايّام والعيشة الضنك
تريك ابتساماً دائما وتجلدا • وصبراً على ما نالها وهى فى الملك
ولو نطقت يوما لقالت اظنكم • تخالون انى من حذار الردى ابكى
فلا تحسبوا دمعى لوجد وجدته • فقد تدمع العينان من كثرة الضحك

انشدنا ابو الحسين ببعلبك انا جعفر انا السلفى انا ابو المكارم عبد الوارث ابن محمد الاسدى رئيس ابهر انشدنا ابو العلاء بن سليمان لنفسه قطعة ليس لاحد مثلها

رغبت الى الدنيا زمانا فلم تَجُدْ • بغير عناء والحياةُ بلاغ
والقى ابنه الناس [؟] الكريم وبنته • لدىّ فعندى راحة فـفراغ
وزاد فساد الناس فى كل بلدة • احاديث مين تفترى وتصاغ
ومن شرما اسرجت فى الصبح والدهى [؟ والدجا] • كميت لها بالشاربين مراغ

ولما مات اوصى ان يكتب على قبره

هذا جناه ابى علىّ وما جنيت على احدْ

الفلاسفة يقولون ايجاد الولد واخراجه الى هذا العالم جناية عليه لانه يعرّض الى الحوادث والآفات والذى يظهر ان الرجل مات متحيّرا لم يحتم بدين من الاديان نسال الله تعّ ان يحفظ علنيا ايماننا بكرمه انبأتنا فاطمة بنت على انا فرقد ابن ظافر انا ابو طاهر بن سلفة قال من عجيب رأى ابى العلاء تركه تناول كل

مأكول لا تنبته الارض شفقة بزعمه على الحيوانات حتى نسب الى التبرّهم وانّه يرى راى البراهمة فى اثبات الصانع وانكار الرسل وتحريم . . . . الحيوانات وايذائها حتى الحيّات والعقارب ففى شعره ما يدلّ على غير هذا المذهب وان كان لا يستقرّ به قرار ولا يبقى على قانون واحد بل يجرى مع القافية اذا حصلت كما تجئ لا كما يجب فانشدنى ابو المكارم الاسدىّ رئيس ابهر قال انشدنا ابو العلاء لنفسه

اقرّوا بالالـه واثبتوه • وقالوا لا نبىّ ولا كتابُ
ووطء بناتنا حلّ مباح • رويدكمُ فقد بطل العتابُ
تمادوا فى الضلال فلم يتوبوا • ولو سمعوا صليل السيف تابوا

وبه قال وانشدنى ابو تمام غالب بن عيسى الانصارى بمكة انشدنا ابو العلاء المعرّى لنفسه

اتتنى من الايّام ستون حجّة • وما امسكت كفّاى ثنى عنان
ولا كان لى دار ولا ربع منزل • وما مسّنى من ذاك روع جنان
تذكّرت انّى هالك وابن هالك • فهانت علىّ الارض والثقلان

الى ان قال السلفى وممّا يدلّ على صحّة عقيدته ما سمعت الخطيب حامد بن بختيار النميرىّ بالسمسانية مدينة بالخابور قال سمعت القاضى ابا المهذّب عبد المنعم بن احمد السروجىّ (يقول) سمعت اخى القاضى ابا الفتح يقول دخلت على ابى العلاء التنوخىّ بالمعرّة ذات يوم فى وقت خلوة بغير علم منه وكنت اتردّد اليه واقرا عليه فسمعته وهو ينشد من قبله

كم غودرت غادة كعاب • وعُمّرت امّها العجوز
احرزها الوالدان حرزاً • والقبر حرز لها حريز
يجوز ان تبطئ المنايا • والخلد فى الدهر لا يجوز

ثم تاوّه مرّات وتلا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ يَوْمَ يَأْتِي لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ثم صاح وبكا بكاء شديدا وطرح وجهه على الارض زمانا ثم رفع راسه ومسح وجهه فقال سبحان من تكلّم بهذا فى

القدم سبحان من هذا كلامه فصبرت ساعة ثم سلّمت عليه فردّ فقال متى اتيت فقلت الساعة ثم قلت يا سيّدى ارى فى وجهك اثر غيظ فقال لا يا ابا الفتح بل انشدت شيئاً من كلام المخلوق وتلوْت شيأً من كلام الخالق فلحقنى ما ترى فتحقّقت صحّة دينه وقوّة يقينه وبالاسناد الى السلفىّ سمعت ابا زكريّا التبريزىّ اللغوىّ يقول افضل من رَأيته ممّن قرأت عليه ابو العلاء وسمعت ابا المكارم بابهر وكان من افراد الزمان ثقة مالكىّ المذهب قال لمّا توفّى ابو العلاء اجتمع على قبره ثمانون شاعراً وختم فى اسبوع واحد عند القبر مائتا ختمة وبه قال السلفىّ هذا القدر الذى يمكن ايراده هنا على وجه الاختصار مدحا وقدحا وتقريظا وذمّا ففى الجملة فكان من اهل الفضل الوافر. والادب الباهر. والمعرفة بالنسب . وايام العرب . قرأ القرآن بروايات . وسمع الحديث بالشام على ثقات . وله فى التوحيد واثبات النبوّة وما يحضّ على الزهد واحياء طرق الفتوّة والمروّة شعر كثير . والمشكل منه فله على زعمه تفسير . قال القفطىّ ‹فى› ذكر اسماء الكتب التى صنّفها قال ابو العلاء لزمت مسكنى منذ سنة اربعمائة واجتهدت ان اتوفّى على تسبيح الله وتحميده الا ان اضطرّ الى غير ذلك فامليت اشياء تولّى نسخها الشيخ ابو الحسن علىّ بن عبد الله بن ابى هاشم احسن الله توفيقه الزمنى بذلك حقوقا جمّة لانّه افنى زمنه ولم يأخذ عمّا صنع ثمنا وهى على ضروب مختلفة فمنها ما هو فى الزهد والعظات والتمجيد فمن ذلك كتاب الفصول والغايات وهو موضوع على حروف المعجم ومقداره مائة كرّاسة ومنها كتاب انشئ فى ذكر غريب هذا الكتاب لقبه السادن نحو عشرين كراسة وكتاب اقليد الغايات فى اللغة عشر كراريس وكتاب الايك والغصون وهو الف ومائتا كراسة وكتاب مختلف الفصول نحو اربعمائة كراسة وكتاب تاج الحرّة فى عظات النساء نحو اربعمائة كراسة وكتاب الخطب نحو اربعين كراسة وكتاب يسميه خطب الخيل عشر كراريس كتاب خطبة الفصيح نحو خمس عشرة كراسة وكتاب يُعرف برسيل الراموز نحو ثلثين كراسة كتاب لزوم ما لا يلزم نحو مائة وعشرين كراسة كتاب زجر النابح اربعون كراسة كتاب بحر الزجر مقداره عشر كراريس كتاب راحة اللزوم فى شرح كتاب لزوم ما لا يلزم نحو مائة كراسة كتاب ملقى السبيل مقداره

اربع كراريس قلت انما مقداره ثمان ورقات فكانه يعنى بالكراسة زوجين من الورق قال وكتاب حماسة الراح فى ذم الخمر نحو عشرة كراريس مواعظ خمس عشرة كراسة كتاب فقه الواعظ كتاب الحُلىّ والحُلَى عشرون كراسة كتاب سجع الحمائم ثلثون كراسة كتاب جامع الاوزان والقوافى نحو ستين كراسة كتاب غريب ما فى هذا الكتاب نحو عشرين كراسة كتاب سقط الزند فيه اكثر من ثلثة الاف بيت فنظم فى اوّل العمر كتاب رسالة الصاهل والساجع يتكلّم فيه على لسان فرس وبغل اربعون كراسة كتاب القائف على معنى كليلة ودمنة نحو ستين كراسة كتاب منار القائف فى تفسير ما فيه من اللغة و الغريب نحو عشر كراريس كتاب السجع السلطانىّ فى مخاطبات الملوك والوزراء نحو ثمانين كراسة كتاب سجع الفقيه ثلثون كراسة كتاب سجع المضطرّين رسالة المعونة كتاب ذكرى حبيب تفسير شعر ابى تمام نحو ستين كراسة كتاب عبث الوليد يتّصل بشعر البحترى كتاب الرياش اربعون كراسة كتاب تعليق الخُلَس كتاب اسعاف الصديق كتاب قاضى الحق كتاب الحقير النافع فى النحو نحو خمس كراريس كتاب المختصر الفتحىّ كتاب اللامع العزيزى فى شرح شعر المتنبى نحو مائة وعشرين كراسة كتاب فى الزهد يعرف بكتاب استغفر واستغفرى منظوم فيه نحو عشرة الاف بيت كتاب ديوان الرسائل مقداره ثمانمائة كراسة كتاب خادم الرسائل كتاب مناقب علىّ رضى الله عنه كتاب العصفورين كتاب السجعات العشر كتاب عون الجمل كتاب شرف السيف نحو عشرين كراسة كتاب شرح بعض سيبويه نحو خمسين كراسة كتاب الامالى نحو مائة كراسة قال فذلك خمسة وخمسون مصنّفا فى نحو اربعة الاف ومائة وعشرين كراسة ثم قال القفطى واكثر كتب ابى العلاء عدمت وانما وجد منها ما خرج عن المعرّة قبل هجم الكفار عليها وقتل اهلها فقد اتيت قبره بسنة خمس وستمائة فاذا هو فى ساحة بين دور اهله وعليه باب فدخلت فاذا القبر لا احتفال به ورأيت على القبر خُبّارى يابسة والموضع على غاية ما يكون من الشعث والاهمال قلتُ فقد رأيت انا قبره بعد مائة سنة من رؤية القفطى فرأيت نحوا مما حكى وقد ذكره بعض الفضلاء انه وقف على المجلّد الاول بعد المائة من كتاب الايك والغصون

قال ولا اعلم ما يعوزه بعد ذلك فقد روى عنه ابو القاسم التنوخىّ وهو من اقرانه والخطيب ابو زكريّا التبريزى احد الاعلام والامام ابو المكارم عبد الوارث ابن محمد الابهرىّ والفقيه ابو تمام غالب بن عيسى الانصارىّ والخليل بن عبد الجبّار القزوينىّ وابو طاهر محمّد بن احمد بن ابى الصقر الانبارى وغير واحد ومرض ثلثة ايام ومات فى الرابع ليلة جمعة من اوائل ربيع الاول من السنة (٤٤٩) وقد رثاه تلميذه ابو الحسن على بن همام

فهرست ما يوجد فى رسائل ابى العلاء من اسماء الرجال والنساء والقبائل والحيوانات

وقد عُلم بنجيم على اسم من استُشهد بشعره

فهرست ما يوجد فى رسائل ابى العلاء من اسماء الاماكن

فهرست ما ورد فى رسائل ابى العلاء من اسماء الكتب

فهرست الاصطلاحات العروضية

فهرست ما ورد فى رسائل ابى العلاء من اسماء النجوم

Anecdota Oxoniensia

THE

LETTERS OF ABU 'L-'ALĀ

OF

MA'ARRAT AL-NU'MĀN

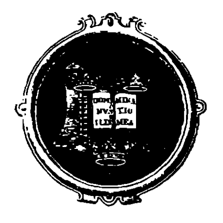
EDITED FROM THE LEYDEN MANUSCRIPT, WITH THE LIFE OF THE AUTHOR BY AL-DHAHABI

AND WITH

NOTES, INDICES, AND BIOGRAPHY

BY

D. S. MARGOLIOUTH, M.A.
LAUDIAN PROFESSOR OF ARABIC IN THE UNIVERSITY OF OXFORD



Oxford
AT THE CLARENDON PRESS
1898

Anecdota Oxoniensia

THE LETTERS OF ABU 'L-'ALA

OF

MA'ARRAT AL-NU'MAN

